

روايات مصرية المصنف

الجرثومة

وقصص أخرى

كوكتيل
يوم

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

33

د. نبيل فاروق

Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة
نظم وتصميم والتوزيع
TATLUB
مؤلف



(قصة قصيرة)

أم علي

« الدكتور (محسن) عاد من مؤتمر (لندن) .. »

ألقت زميلتي (نها) العبارة في همس منفعلي ، وهي تلهث في شدة ، علي نحو جعلنا جميعاً ننظر إليها في دهشة ، قبل أن أقول أنا ، في حيرة مستنكرة :

- عاد إلى هنا !؟

أومأت (نها) برأسها إيجاباً ، في حماسة منفعلة ، وهي تقول :

• مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..

• إلى الحضارة ..

• إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. تيسيل فاروق

- نعم .. من المطار إلى هنا مباشرة ؛ ليتابع حالاته التي كان يتابع علاجها قبل سفره .

ثم غمزت بعينها في خبث ، قبل أن تستطرد :

- إنه غير متزوج كما تعلمن .

وجدت نفسي أهتف في حدة :

- ومن تفكر في الزواج من جلف مثله ؟

ضحكت زميلتنا (سلوى) وهي تقول :

- الواقع أنه وسيم جداً يا (مروة) .

قلت في حدة أكثر :

- حتى ولو كان أكثر رجال الأرض وسامة ! إنه مجرد تمثال من الرخام ، بلا قلب أو مشاعر .

هزت (نها) رأسها نفياً ، وقالت :

- لست أظن هذا .. ربما كان صارماً عنيداً ، ولكن لو أنه بلا مشاعر كما تقولين يا (مروة) لما عاد من المطار إلى هنا مباشرة ، ليعود مرضاه .. شخص غيره كان سيعود إلى بيته ، وينعم بيوم كامل من النوم والراحة أولاً .

هتفت بعناد :

- ولو .

ضحكت (نها) و (سلوى) ، ولم تحاول إحداهما معارضة ، لما تعلمانه من صلابتي وعنادي ، منذ كنا زميلات في مرحلة الحضانة ..

والواقع أن رأيي في الدكتور (محسن) هذا لم يتغير أبداً ، منذ بدأت العمل كطبيبة امتياز ، في ذلك المستشفى العام ، إثر تخرجي مع زميلتي عمري ، من كلية الطب ..

فمنذ أول يوم عرفته ، وهو شخص صارم ، عنيف ، لا يهتم في الدنيا كلها سوى بمرضاه ، الذين يعاودهم ليلاً ونهاراً ، ويقضى ساعات طوالاً إلى جوارهم ، دون أن يسمح لطبيب امتياز واحد بالاقتراب منهم ، أو التدخل في علاجهم ..

العبرة الوحيدة ، التي يرددها دوماً ، هي أن أطباء الامتياز مجرد ظلل بيضاء غير نافعة ..

قول سخيف ، يشف عن غرور غبي ..

هذا ما أقوله عنه دوماً ..

أما الشيء الذي كنت أصر عليه باستمرار ، فهو أنه رجل

بلا قلب أو مشاعر ، وأن صرامته الدائمة ليست إلا محاولة
سخيفة لإخفاء أمر ما ، يخجل أن يعرفه الآخرون عنه ..
بالتأكيد ..

ولقد عدت أخبر صديقتي برأى هذا ، ونحن فى طريقنا
إلى استقبال الطوارئ ، الذى سنقضى فيه نوبة الليل معاً ،
كما اعتدنا طوال فترة الامتياز ..

وفى حجرة استقبال الطوارئ ، رحلت أشرح لهما خطة
وضعتها ، لإخراج الدكتور (محسن) ، وكسر غروره
وتعالیه ، وإجباره على الاعتراف بوجودنا نحن أطباء
وطبيبات الامتياز ، و ...

« هل تسمحن !؟ »

قاطعتنا تلك العبارة القصيرة ، التى نطقها رجل قصير
القامة ، خشن الملامح ، فى لهجة خافتة مهذبة ، تتناقض
بشدة ، مع بنيانه المتين ، ولحيته غير الحليقة ، فاعتدنا
فى آن واحد ، وسألته أنا :

- ماذا هناك !؟

أشار بيده ، فى شيء من الارتباك ، وقال :

- والدتى مريضة .. معدتها تؤلمها منذ الغروب .. هل
يمكنك أن .. أعنى هل تسمحن بـ ...
قاطعته قبل أن يكمل ، وأنا أنهض من مقعدى ، واتجه
إليه بحماسة :

- بالتأكيد .. أين هى !؟

تبعتنى (نها) و (سلوى) كالمعتاد ، واتجه ثلاثتنا إلى
حجرة الكشف ، ولم يكذبصرنا يقع على أمه ، التى تقف
إلى جوار سرير الكشف الطبى صامتة ، تمسك معدتها فى
ألم ، حتى هتفنا فى آن واحد :

- أم (على) !؟

ارتبك الرجل بشدة ، فى حين امتقع وجه الخالة أم (على)
العجوز ، وهى تحدق فى وجوه ثلاثتنا ، مغممة فى خجل
وارتباك :

- كيف حالكن يا بنات .

عبارتها القديمة ، التى طالما سمعناها فى طفولتنا ، أثار
فى نفوسنا حنيناً شديداً ، وأعدت إلى أذهاننا ذكريات أجمل
أيام حياتنا ، عندما كنا صغيرات ، نسكن إلى جوار بعضنا ،

في منطقة (المعادي) ، وكانت الخالة أم (على) قاسماً
مشاركاً في حياتنا ، عندما كانت تحضر لأسرنا البيض
الطازج ، والدجاج والبط وغيرها من الطيور ، وتؤدي لكل
أية خدمات معقولة ، مقابل أجر بسيط ..

كانت دوماً باسمه الثغر ، حنوناً ، دافئة المشاعر ، ما إن
نلمحها ، نحن وأطفال الحي كله ، حتى نهرع إليها بفرحة
عارمة ، ونحن نهتف باسمها ، وكانت هي تستقبلنا دوماً
بابتسامة كبيرة ، ودفء يكفي لإذابة ثلوج القطبين معاً ..

وكم أحببناها وتعلقنا بها في طفولتنا ، وأصبحنا ننتظرها
بكل اللهفة والحب ..

ثم اختفت أم (على) فجأة ..

دون مقدمات ، لم تعد أم (على) تأتي إلى حينا ، أو إلى
أية أحياء أخرى .. ولقد انتظرناها طويلاً ، ثم لم نلبث أن
بدأنا نبحث عنها ، ونسأل عن أحوالها ، فعلمنا من بعضهم
أن ابنها (على) قد طلب منها أن تكف عن العمل ، وخرج
هو ليعول أسرته كلها وأشقاءه الأصغر سناً ..

وكم افتقدنا أم (على) في شبابتنا وصباتنا ..
حتى رأيناها الآن ..

وبكل شوقنا ولهفتنا ، أقبلنا عليها نغمرها بحبنا وقبالتنا ،
فاحمر وجهها خجلاً ، وامتزج ألمها بتلك الابتسامة الحانية
الدافئة ، التي افتقدناها طويلاً ..

وبكل حبنا ، رحنا نفحص أم (على) ، ونتعاون على
إراحتها وتهديتها ، وتخفيف آلامها ، وابنها يقف صامتاً ،
يتطلع إلينا في تأثر واضح ..

ولكن أم (على) كانت تحتاج إلى ما هو أكثر من عمار
لتخفيف الألم ..

وبكل الاهتمام ، قلت لها :

- خالتي أم (على) .. سنحتجزك هنا ليومين ، حتى نجرى
لك كل الفحوص اللازمة .

ظهر على وجهها ذعر لم أفهمه ، في حين اندفع ابنها
يقول في ارتباك :

- لا .. ليس هنا .

قالت (نها) في دهشة :

- ولم لا .. ما ستجده هنا لن تجده في أي مستشفى آخر .. ثم إن الخالة أم (علي) مثل والدتنا ، وسنوليها كل رعايتنا واهتمامنا ..

تبادلت أم (علي) نظرة قلقة متوترة مع ابنها ، الذي أوما برأسه ، وكأنما يعلن في صمت فهمه لما تعنيه ، وتنحنح في حرج ، قائلاً في شيء من الحزم :

- ليس هنا .

خيل إلي أنني قد فهمت مغزى كل هذا ، فقلت في حزم :

- لن يكلفكما هذا قرشاً واحداً .

قال الرجل في حرج :

- ليست مسألة نقود .

تابعت وكأنني لم أسمعه :

- سنتخذ كل الإجراءات اللازمة ، وسندخل الخالة أم (علي)

القسم المجاني ، و ...

قبل أن أتم عبارتي ، ارتفع صوت جهوري صارم ، يقول :

- هراء .

التفتنا جميعاً بحركة واحدة ، إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرنا على الدكتور (محسن) ، الذي بدا عملاقاً قوياً صارماً في تلك اللحظة ، حتى إن (نها) و(سلوى) قد امتقعتا على نحو عجيب ، في حين ارتبك الرجل القصير ، واحتقن وجه أم (علي) المسكينة ، وتراجعت في شيء من الذعر ، جعلني أشفق عليها ، وأهم بالاعتراض على قوله في عنف ، لولا أن فوجئت به يكمل ، في حنان عجيب ، أدهش الكل بالتأكيد :

- هذه السيدة ستعالج في جناح خاص ، وبالدرجة الممتازة أيضاً .

احتقن وجه أم (علي) أكثر ، وارتبك ابنها بشدة ، ولكن الدكتور (محسن) اتجه نحوهما ، ثم أقدم على آخر شيء يمكننا تصوره ..

لقد انحنى يلتقط يدها ، ثم يطبع عليها قبلة طويلة ، جعلت وجهها يتضرج كله بحمرة عجيبة ، قبل أن ينهض هو ، ثم يحيط جسدها الضئيل بذراعه القوية ، ويضمها إليه في حنان جارف ، قبل أن يقول بصوت ، لم أسمع أكثر أو أشد منه حباً وفخراً واعتزازاً :

- إنها أمي .

اتسعت عيون ثلاثتنا في زهول ، ونحن نحدق فيه ، في حين دفنت أم (على) رأسها في صدره ، وسالت دموعها على وجهها الطيب الحنون ، فضمَّها إليه أكثر ، وربَّت عليها بحنان أذهلني ، وأطلق في جسدي كله ارتجافة عجيبة ، شملته حتى النخاع ..

وبكل زهولها ، هتفت (نها) :

- الخالة أم (على) هي أمك !؟

اتسعت ابتسامته في زهو وفخر ، وهو ما زال يضمّ أمه إليه بكل حنان الدنيا ، ومدّ يده يربّت على كتف القصير ، وهو يجيب :

- لي كل الفخر .. أما هذا ، فهو (على) ، شقيقى الأكبر ، وأفضل أسطى ميكانيكى فى (المعادى) كلها .

ثم التفت إلى شقيقه ، وداعب لحيته نصف النابتة ، وهو يضيف بحب :

- كفاحه وتضحيته هما اللذان صنعا منى ما أنا عليه

الآن .

قالها ، وطبع قبلة امتنان على جبين شقيقه (على) ، قبل أن يعتدل ، مستعيدًا كل صرامته المألوفة ، ومستطرّدًا :

- هيا .. لاتضيعن الوقت .. أريد أفضل جناح فى المستشفى كله .. على النيل مباشرة ، وعلى نفقتى الخاصة .. وليبدأ الاستعداد لعمل الفحوص فورًا .

وبكل حماس الدنيا ، هتفت :

- بالتأكيد .

لحظتها ، ألقيت كل خطى السابقة خلف ظهري ..

ووضعت خطة جديدة ..

ولقد نجحت خطى الجديدة نجاحًا باهرًا ، ولا يمكنكم أن تتصوِّروا مدى سعادتى وفخرى بنجاحها ، وأنا أسير الآن فى (المعادى) متأبّطة ذراع زوجى العظيم ، الدكتور (محسن) ، وفى يدي الأخرى ثمرة حبنا ..

(على) ..

حفيد أم (على) ..

إلا الحاج (شичه) ..

والحاج (شичه) هذا واحد من أبناء حارتنا ، لا أحد يعرف
وظيفته أو مهنته بالضبط ، ولكنه يؤكد دوماً أنه يزاول
الأعمال الحرة ، وإن لم يفصح قط عن طبيعة هذه الأعمال ،
مما جعلنا نكتفى بحديث زوجته الحاجة (فتحية) ، عن
عمله كسمسار مقاولات ، في بعض الأحياء الراقية ..

ومنذ انتقال الحاج (شичه) وزوجته للسكنى في حارتنا ،
اعتدنا أن نراهما يؤديان فريضة الحج سنوياً ، وإحاطة
سفرهما وعودتهما بمظاهر احتفالية خاصة ، تروق كثيراً
لأهل الحارة ، وتثير فرحتهم .. وربما غيرتهم أيضاً ..

ومع عودتهما من الأراضي المقدسة ، اعتدنا أيضاً أن يسيل
لعابنا ، وتسيل معه تساؤلاتنا ، عن نوعية الهدايا والهبات ،
التي يوزعونها علينا جميعاً كل عام ، فبساط صلاة لهذا ،
وجلباب لذاك ، وثوب مزركش لتلك .. وهكذا ..

وعندما أعلنت الدولة تقييدها لعدد مرات الحج السنوية ،
امتقع وجه الحاج (شичه) ، واحتقن ، واحمرّ واصفرّ ، ثم
صاح بكل غضبه :

.. كلاً .. هذا ظلم .. ظلم فادح ..



الحاج (شичه) (قصة قصيرة)

كلنا سمعنا الخبر ، وقرأناه في كل الصحف ، في ذلك
الصباح ..

الدولة قرّرت عدم السماح بأداء فريضة الحج ، لمن
أدوها في العام الماضي ، حتى تتاح الفرصة للآخرين ،
ويخفّ الضغط في موسم الحج ..

كلنا استقبلنا الأمر واستوعبناه ، وأدركنا حكمته ومغزاه ..

كنا نقدر جميعاً عشقه السنوي لأداء فريضة الحج ، وإصراره الدائم عليها ، لذا فقد رحنا نبذل جهدنا ، لتهدئة مشاعره ، وإقناعه بحكمة القرار ، ورحت أنا أقول له في روية :

- فريضة الحج تكفيها مرة واحدة يا حاج (شبيحه) ، وهي تسقط عن المسلم ، بعد هذه المرة .

لوح بذراعيه ، هاتفاً في حدة :

- مستحيل ! لا بد أن أذهب للحج .. لا يمكنني أن أضيع غنيمة كبيرة كهذه .

ربتاً على ظهره ، محاولاً تهدئته ، وأنا أقول :

- الحج ليس الوسيلة الوحيدة ليغنم المرء ثواب الله (سبحانه وتعالى) .. يمكنك أن تتبرع بمبلغ أداء فريضة هذا العام إلى أحد مستشفيات الأورام ، أو أجهزة الغسيل الكلوي ، أو حتى لأحد الشبان الراغبين في الزواج .. هذا حتماً سيمنحك ثواباً أكبر .

تطلع إليّ ، كما لو كنت مجنوناً ، ثم هز رأسه في قوة ، قائلاً :

- أنت لا تفهم شيئاً .. لا تفهم شيئاً ..

قالها ، ونهض في حدة ، واندفع يغادرنا في توتر بالغ ، وهو يلوح بذراعيه ، ويهمهم بكلام غير مفهوم ، فغمغم جارنا الأستاذ (فرحات) :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. الرجل عاجز عن استيعاب فكرة عدم السفر للحج هذا العام !

هزرت رأسى ، قائلاً :

- لا بد أن يعتاد هذا .

أوماً جارنا الآخر ، الأستاذ (ثروت) برأسه ، وقال في هدوء :

- سيجد وسيلة .

قلت في دهشة :

- أية وسيلة؟! إنه قانون .

ابتسم في رصانة وغموض ، قائلاً :

- الحاج (شبيحه) سيجد وسيلة .

لم أفهم ما يعنيه ، ولا سر ثقته العجيبة بالحاج (شبيحه) ،

حتى فوجئنا بالرجل يقبل علينا ، بعد أسبوع واحد ، وهو يلوح بجواز سفره في بشر وحبور ، قائلاً :

- لقد فعلتها .

سألته في حيرة :

- فعلت ماذا ؟!

جذب الحاج (شبحه) مقعداً ، وجلس إلى جوارى ، قائلاً في ظفر فرح :

- حصلت على التأشيرة ، وسأسافر لأداء فريضة الحج ، هذا العام أيضاً .

سألته بكل الدهشة :

- ولكن كيف ؟! والقانون ؟!

أشار الأستاذ (ثروت) بسبابته في وقار ، قائلاً :

- المال يفتح كل الأبواب .

هتفت بدهشة مستنكرة :

- المال ؟!

ضحك الحاج (شبحه) ، وعاد يلوح بجواز سفره ، قائلاً :

- نعم يا رجل .. المال .. لقد ابتعت تأشيرة خاصة . هتفت باستنكار أكثر :

- لأداء الحج ؟!

هز رأسه نفيًا ، ومال نحوي ، قائلاً في ظفر :

- بل للعمل في أثناء فترة الحج .

سألته في حيرة :

- ماذا تعنى ؟!

اعتدل ، مجيبًا في حماسة :

- إنها التأشيرة التي تحصل عليها كل الفئات المعاونة ، في فترة الحج .. مثل السائقين ، والحلاقين ، والعاملين في المناسك والفنادق .

سألته في دهشة منفعلة :

- وكيف أمكنك الحصول على تأشيرة كهذه ؟!

ضحك ، وهو يشير إلى الأستاذ (ثروت) ، قائلاً :

- بالمال يا رجل .. بالمال !

هتفت في غضب مستنكر :

- من السفارة؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مستحيل ! السفارة لن تتجاوز القانون أبدًا ..

لقد حصلت عليها من إحدى الشركات ، التي تورّد الفئات
المعاونة ، في موسم الحج .

ثم عاد يضحك في ظفر ، ويلوح بجواز سفره ، هاتفاً :

- المهم أنني سأسافر مع الحاجة ، هذا العام أيضًا .

أدهشني أسلوب الرشوة والتحايل ، لأداء فريضة مقدسة
كهذه ، إلا أنني آثرت الصمت ، واكتفيت برفض القلب ، حتى
سافر الحاج (شبيحه) مع الحاجة (فتحية) كعادتهما ..

ومرّت الأيام ، ونسيت الأمر برمته ، وانشغلت في أيام
العيد ، وما أعقبها من إعادة تنظيم وتدبير ، و ...

« هل سمعت أخبار الحاج (شبيحه) وزوجته؟! »

فاجأني الأستاذ (فرحات) بالسؤال ، وهو يقبل علينا في
المقهى ، فقلت في دهشة :

- عجبًا .. كيف نسيت أمره هكذا تمامًا؟! صحيح ..

ما أخبارهما ، ولماذا لم يعودا من الحج حتى الآن؟!

مال الأستاذ (فرحات) نحوي ، قائلاً :

- لقد عادا ، ولكن ليس إلى الحارة .

سألته في دهشة أكبر :

- إلى أين إذن؟!

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

- إلى السجن .

مطّ الأستاذ (ثروت) شفّتيه ، دون أي تعليق ، وكأنما لم
يدهشه هذا ، في حين كدت أنا أقفز من مقعدي ، صارخًا :

- السجن؟! لماذا؟! هل حاولت تهريب بضائع من الجمارك؟!

أجابني في سرعة :

- تهمتهما ليست التهريب .. إنها النشل .

اتسعت عيناى عن آخرهما ، وكاد قلبي يتوقف ، وأنا أهتف :

- النشل؟! مستحيل !

مطّ الأستاذ (ثروت) شفّتيه مرة أخرى ، والأستاذ

(فرحات) يقول في حماسة عجيبة :

- إنها مهنتهما منذ زمن طويل .. النشل .. وإصرارهما على السفر للحج كل عام كان بسبب ما ينشلائه من الحجيج هناك .

رددت في ذهول :

- النشل .

غمغم الأستاذ (ثروت) في ازدياء :

- كنت أعلم هذا منذ البداية .

ثم نهض ، وانصرف مع الأستاذ (فرحات) ، وهما يتحدثان عن الأمر ، وتركاني على المقهى وحدي ، ذاهلاً مذعوراً ، أراجع في أعماقي التاريخ كله ..

تاريخ جارنا الحاج ..

(شичه) .

روايات مصرية الجيد

كوكب
٢٠٠٠

العقرب

مهمة رسمية

الحلقة الثانية



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٥٤٠١٤٥٥ - ٦٤٣٤٥٥ - ٦٤٦١٤٧
فاكس : ٦٤٧٠٠٢

مهمة رسمية

ملخص ما سبق نشره :

في سابقة تعدّ الأولى من نوعها ، لجأ اللواء (حلمي) إلى (نديم فوزي) ، ليعاونه في قضية غسيل أموال قذرة ، تورط فيها رجل الأعمال ، صاحب الاتصالات الضخمة ، والنفوذ القوي (رشاد السلباوي) ..

وكوسيلة لدراسة خصمه ، وردود أفعاله ، زار (نديم) (رشاد السلباوي) شخصياً ، وواجهه مع محاميه الثعلب (إدوارد) ، ثم تركهما ليرسل (إدوارد) خلفه رجله الأول (جابر) ، ليراقبه ويرصد حركاته ؛ لأنه يعلم أن (نديم فوزي) هو في الحقيقة (العقرب) ، مكافح الجريمة السري الأول في (مصر) ..

ولكن (العقرب) نجح في الفرار من المراقبة ، وقرّر أن يطرق الحديد وهو ساخن ، ويقوم بتفتيش مخازن (رشاد السلباوي) ، التي لم يعثر فيها سوى على شحنة من الموسوعات الفاخرة ..

ولكن فجأة ، وجد (نديم) نفسه محاطاً برجال (السلباوي) ، ومحاميه ، ورجال الشرطة ، وعلى رأسهم خصمه اللدود الدائم ..

(مجدى) ..

العقيد (مجدى) .

* * *

كان من الواضح أن الموقف شديد التعقيد ، وفي غير صالح (العقرب) ، على طول الخط ؛ فهو داخل مخزن يمتلكه (رشاد السلباوى) ، ويحيط به رجال الشرطة بمدافعهم الآلية ، ويواجه (إوارد) ، المحامى الثعلب ، مع العقيد (مجدى) ، رجل الشرطة ، الذى لا هم له فى الحياة سوى إثبات أن (نديم فوزى) ضابط الشرطة السابق ، والمحامى الحالى ، هو نفسه (العقرب) ..

وفى موقف كهذا ، لم يعد الأمر عسيراً على الإطلاق ..
يكفى أن يتقدم (مجدى) نحوه ، وينزع قناعه ، و ...

« أظنك قد وقعت أخيراً ياسيد (نديم) .. »

نطقها (مجدى) فى ظفر شامت مبتهج ، وهو يتطلع إلى (العقرب) ، بقناعه الأسود ، الذى يخفى معظم ملامحه ، فى حين ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى (إوارد) ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- رأيت؟! كل شىء قانونى مائة فى المائة .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (العقرب) ، وهو يلتقط الكتاب ، ذا الغلاف الأحمر الفاخر ، من طيات ثيابه ، ويرفعه إلى جوار وجهه ، قائلاً :

- حتى هذا!؟

احتقن وجه (إوارد) بشدة ، وانقلبت سحنته على نحو مدهش ، وهو يحدق فى الكتاب ، حتى إن حاجبى (مجدى) انعقدا فى توتر ، وهو يسأل فى عصبية :

- ما أهمية هذا الكتاب بالضبط!؟

لم يبد حتى أن (إوارد) قد سمعه ، وهو يهتف برجال الأمن الأربعة ، الذين يحيطون به :

- استعيدوا هذا الكتاب منه .. بسرعة .

لم يكده هتافه يكتمل ، أو ربما قبل هذا بلحظة ، حتى اندفع رجال الأمن الأربعة نحو (العقرب) ، فى شراسة عنيفة ، وانتزع أحدهم مسدسه بحركة حادة ، فصرخ العقيد (مجدى) فى عصبية أمره :

- لا تطلقوا النار .

اقتربت آخر حروف كلماته بفرقة مكتومة ..

ثم انقطع التيار الكهربى دفعة واحدة ..

ومع المفاجأة ، دوى فى المكان صوت طلق نارى ، والتمع وهج رصاصه ، مقتربنا بصرخة (مجدى) ، وهو يكرّر :

- قلت : لا تطلقوا النار .

ولكن صرخته ضاعت وسط هرج ومرج عجيبين ، سادا المكان ، وسط الظلام الدامس ، وبدا وكأن الجميع يتحركون على نحو عشوائى متخبّط ، وظهر وهج رصاصه أخرى ، مقتربنا بدويها ، مع صرخة (مجدى) الغاضبة :

- أغلقوا كل المداخل .. إنكم تفسدون كل شىء .

لم يكذب يتمّ عبارته ، حتى فوجئ بأصابع قوية تنغرس فى كتفه ، وسمع من يهمس فى أذنه ، بلهجة صارمة :

- لو أتى فى مكانك ، لما غادرت قبل أن أفحص هذه الكتب الأنيقة .

استدار بسرعة إلى مصدر الصوت ، صارخاً :

- إنه هنا .

ولكن أصابعه قبضت على الفراغ ، فى نفس اللحظة

التي انتزعت فيها تلك الأصابع القوية من كتفه ، وارتفعت فى الظلام ضحكة ساخرة مستفزة ..

ضحكة (العقرب) ..

وبكل غضبه وثورته ، صرخ (مجدى) :

- أغلقوا كل الأبواب .

وتبعه (إوارد) ، صائحاً :

- لا تسمحوا لأحد بالخروج من هنا .. سيعمل مولد الطوارئ بعد دقيقة واحدة .

اندفع الرجال يتخبطون ويتصادمون ، وسط الظلام الدامس ، وارتفعت الصرخات الغاضبة من كل صوب ..

ثم بدأ المولد الاحتياطى عمله ، واشتعلت الأضواء كلها دفعة واحدة ، لتغمر المخزن كله .. وبحركة واحدة ، التفتت العيون كلها إلى حيث كان يقف (العقرب) ، ثم اندفعت تبحث فى كل صوب ..

ولكن ، باستثناء (إوارد) ورجال الأمن الأربعة ، و(مجدى) ومن تبعه من رجال الشرطة ، لم يكن هناك أثر لمخلوق آخر ..

أدنى أثر ..

« لم يكن أمامي سوى هذا .. »

غمغمت (عادة) بالعجالة ، وهي تنطلق بسيارة (نديم) ،
مبتعدة عن منطقة مخازن (رشاد السلباوى) ، فانتزع (نديم)
قناعه ، وألقاه داخل حقيبة صغيرة ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- كان هذا أعظم رد فعل رأيته فى حياتى كلها .

هزّت رأسها ، قائلة :

- لقد رأيتهم يدخلون المخزن ، وأدركت أنهم سيحاصرونك ،
ولما لم أجد ما أفعله ، فقد اتجهت إلى كشك الكهرباء
الرئيسى ، ونزعت المحولات الأساسية .

قال ، وهو يستبدل ثيابه فى سرعة :

- كانت مخاطرة كبيرة .

غمغمت :

- وماذا كان البديل ؟! أن أتخلى عنك !!

ابتسم ، وهو يتمتم :

- مستحيل !

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهي تغمغم :

- لو تبدّل الوضع ، كنت ستفعل المثل .. أليس كذلك ؟!

تطلّع إليها لحظة ، قبل أن يجيب برصانته المعهودة :

- بالتأكيد .

كان قد انتهى من نزع ثياب (العقرب) السوداء ، التى
يرتديها فوق ثيابه ، فدسّها فى حقيبته مع القناع ، والتقط
سترته من الأريكة الخلفية للسيارة ، وهو يقول :

- أتعثّم أن يفعل (مجدى) مانصحته به .

سألته فى اهتمام ، وهي تنحرف بالسيارة إلى الطريق
الرئيسى :

- وما الذى نصحته به ؟!

التقط نسخة الكتاب الفاخر ، وناولها إياه ، وهو يقول :

- أن يفحص شحنة الكتب هذه .

انعقد حاجباها ، وهي تفحص الكتاب بمنتهى الاهتمام ،
قبل أن تقول :

- وما الذى تتوقّع أن يجده فيها ؟!

هزّت رأسه ، قائلاً :

- لست أدري .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في حزم :

- ولكن من المستحيل أن يستورد رجل مثل (رشاد السلباوى) ، شحنة من كتب ثقافية ، دون أن يكون وراء هذا هدف خفى .

قالت في اهتمام :

- ربما هي شحنة تمويهية .

هزَّ كتفيه ، ومطَّ شفتيه ، مغمغماً :

- ربما .

لم يكذب ينطقها ، حتى سطم ضوء قوى فى وجهيهما ، وظهرت حواجز طرق تسد الطريق أمامهما ، وعلى جانبيها عدد من رجال الشرطة ، فغمغمت (عادة) فى عصبية :

- هل نتوقف؟!

انعقد حاجباه ، وهو يعتدل فى مقعده ، مجيباً فى

صرامة :

- بالتأكيد .

تساءلت فى عصبية أكثر :

- وماذا لو أنهم ينتظروننا بالتحديد؟! أعنى لو أن العقيد (مجدى) قد اتصل بهم لاسلكياً ، وطلب منهم أن ..

قاطعها فى حزم :

- هذا هو الأرجح .

سألته فى دهشة عصبية :

- وما زلت ترغب فى أن نتوقف .

قال بكل الصرامة والحزم :

- بالتأكيد .

ضغطت فرامل السيارة فى توتر ، وتركتها تتوقف على جانب الطريق ، على مسافة متر واحد من الحواجز ، فاتجه أحد رجال الشرطة نحوهما ، وهو يحمل سلاحه الشخصى ، ثم انحنى يطلق ضوء مصباحه اليدوى فى وجهيهما ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

- مساء الخير ياسيد (نديم) .

واعتدل ، ليضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكى ، قائلاً :

- من الحاجز الأول إلى سيادة العقيد (مجدى) .. لقد استوقفنا الهدف بالفعل .. وفى المكان المتوقع .

وهنا شعرت (عادة) بكل غضب وسخط الدنيا ، وهى تتطلع إلى حقيبة (نديم) ، الملقاة فى المقعد الخلفى ، وبداخلها ثوب وقناع العقرب ..

وفى أعماقها ، بدا لها أن المصيدة قد أطبقت عليهما هذه المرة ..

بمنتهى الوضوح ..

والقوة ..

« ما الذى تحويه هذه الكتب بالضبط ؟! »

ألقى العقيد (مجدى) السؤال فى عصبية شديدة ، على المحامى (إدوارد) ، فانقلبت سحنة هذا الأخير فى شدة ، وهو يجيب :

- وما الذى يمكن أن تحويه؟! ثقافة ومعلومات عامة .. إنها مجرد موسوعات .

رماه (مجدى) بنظرة نارية ، وهو يسأله :

- لماذا إذن احتقن وجهك ، عندما رأيت أحدها فى يد (العقرب)؟!!

صاح (إدوارد) فى حدة :

- ماذا دهك أيها العقيد؟! هل فقدت القدرة على التمييز ، بين اللص والشريف؟! هل نسيت أنك هنا لتلقى القبض على ذلك المقتنع ، الذى اقتحم مخازننا عنوة؟!!

قال (مجدى) فى صرامة :

- أنا هنا لتطبيق القانون ، وتحقيق العدالة .

صاح (إدوارد) :

- حقاً؟! لماذا عجزت ورجالك عن الإمساك بذلك المقتنع المتسلل إذن؟!!

رفع (مجدى) جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يهتف :

- ألم تسمع بنفسك؟! لقد استوقفته دوريتنا على الطريق .

هتف (إدوارد) :

- دوريتكم استوقفت (نديم فوزى) ، وليس (العقرب) .

انعقد حاجبا (مجدى) فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

- وكيف عرفت أنه (نديم فوزى) !؟

انتفض جسد (إدوارد) ، وهو يقول فى عصبية :

- ماذا تعنى !؟

بدا (مجدى) شرسا ، على نحو عجيب ، وهو يلوح فى وجهه بجهاز اللاسلكى ، قائلاً :

- أعنى أن أحدا لم يذكر اسم (نديم فوزى) كاملاً قط ..
لقد اتصلت برجالى ، وطلبت منهم إيقاف سيارة (نديم)
إذا ما وجدوها على الطريق ، تتجه نحو (القاهرة) .. وعندما
أبلغونى بإيقافها ، اکتفوا بقول : إنهم قد استوقفوا الهدف ،
فمن أين جئت بلقب (نديم) !؟

صمت (إدوارد) لحظة ، قبل أن يقول فى حدة :

- إنه محام مثلى ، ومن الطبيعى أن أعرفه .

قال (مجدى) فى سرعة وصرامة :



رفع (مجدى) جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يهتف :

- ألم تسمع بنفسك !؟ لقد استوقفته دوريتنا على الطريق ..

- ولكن ليس من الطبيعي أن تربط بينه وبين (العقرب) .
ثم تراجع في حركة حادة ، مستدركا :
- إلا إذا ..

سأله (إدوارد) في عصبية :

- إلا إذا ماذا ؟!

لم يجب (مجدى) سؤاله ، وإنما تطلّع إلى عينيه مباشرة ،
كما لو أنه يقرأ ما يدور في أعماقه ، قبل أن يقول فى ببطء
صارم :

- لو أنك نطقت اسم (العقرب) ، أمام أى مواطن عادى ،
لما وجدت لديه أى صدى له ، ولو أخبرته باسم (نديم
فوزى) ، لتذكر أنه قد شاهد لافتة على مكتب فى وسط
المدينة تحمل هذا الاسم ، أو ربما كان يجهله تماما .. قلائل
هم من يعرفون (نديم فوزى) ، وندرة من يعرفون (العقرب)
وفئة واحدة فحسب ، هى التى يمكنها أن تربط بين هذا وذاك .

سأله (إدوارد) فى حذر زائد :

- أية فئة تلك ؟!

رمقه (مجدى) بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يقول :
- قل لى ياسيد (إدوارد) : هل يمكننى الحصول على أحد
هذه الكتب الأثيقة ؟!

تضاعف حذر (إدوارد) ، وهو يسأله :

- ولماذا ؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (مجدى) ، وهو
يقول :

- سأدفع ثمنه بالطبع .

ران عليهما الصمت لحظات ، وكل منهما يتطلّع إلى
عيني الآخر ، بنظرة تحمل تحديًا غامضًا مكبوتًا ، قبل أن
يقول (إدوارد) فى روية حذرة :

- غذا سأرسل إليك موسوعة كاملة ياسيادة العقيد .

انحنى (مجدى) يلتقط نسخة ، من الصندوق الذى فتحه
(العقرب) ، قائلاً :

- سأكتفى بكتاب واحد ، و ...

أمسك (إدوارد) معصمه فجأة فى قوة ، وهو يقول فى
صرامة عصبية :

- كلاً .

رفع (مجدى) عينيه إليه فى تحد ، قائلاً :

- وماذا لو أصررت ؟!

أجابه (إدوارد) فى حدة :

- فى هذه الحالة ، سأصرّ أنا على وجود إذن من النيابة .

غلفهما الصمت بضع لحظات أخرى ، وكلاهما يتطّلع إلى عيني الآخر مباشرة ، قبل أن يقول (مجدى) فى صرامة ، وهو يفلت نسخة الكتاب :

- فليكن .. ما دمت تصرّ .

وأشار إلى رجاله ، مستطرداً .

- سننصرف الآن ياسيد (إدوارد) ، ولكن ثق بأننا سنعود غداً .

ثم التفت إليه ، وأطلت من عينيه نظرة غاضبة صارمة ، وهو يضيف :

- مع إذن النيابة .

انعقد حاجبا (إدوارد) فى شدة ، وهو يتابع انصراف رجال الشرطة ، حتى قال أحد رجال الأمن فى توتر :

- هل ألقوا القبض على ذلك المقتنع بالفعل ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (إدوارد) ، وهو يقول :

- لا تشغل ذهنك بهذا الآن ، فلدينا الكثير من العمل هنا الليلة .

والتقط هاتفه المحمول من جيبه ، وهو يضيف فى صرامة :

- أما ذلك المقتنع ، فسنستدعى من يمكنه التعامل معه .

قالها ، وهو يضغط أزرار هاتفه الخلوى فى سرعة ، ثم أشار إلى الرجل ، ليبتعد عنه ، قبل أن يسمع صوت محدثه عبر المحيط ، فيقول فى حزم :

- هاى (شارلى) .. إنه أنا (إدوارد) .. أتحدث من (القاهرة) .. اسمعنى جيداً يا (شارلى) .. هناك باعوضة تسبب لنا الأرق هنا .. أخبر الرفاق فى (لوس أنجلوس) أننا نحتاج إلى مبيد قوى ؛ ليخمد صوتها إلى الأبد .. لا .. لن يمكننى الانتظار حتى ترسلوا مبيداً من الولايات المتحدة .. دعهم يرسلوا أحد مبيدات (أوروبا) .. نعم .. بأسرع وسيلة ممكنة .

ثم أنهى الاتصال ، وحاجباه يكادان يمتزجان ، من فرط انعقادهما ، وهو يغمغم بكل سخط وغضب الدنيا :

٥ - صراع الذئاب ..

تألقت عينا العقيد (مجدى) فى ظفر واضح ، وهو يوقف سيارته عند حاجز الطريق ، وغادرها فى انفعال ، واتجه فى خطوات متتدة نحو سيارة (نديم) ، التى جلس



داخلها هذا الأخير فى هدوء مستفز ، على عكس زميلته (غادة) ، التى بدت شديدة العصبية ، وهى تهتف :

- هل يمكننى أن أفهم معنى ما يحدث هنا !؟

العقرب (مهمة رسمية)

٤٤

- فليكن أيها (العقرب) .. لقد أفسدت الأمور كلها هنا ..
لنر كيف ستواجه مبيداً محترفاً .

نطقها ، ثم أعاد هاتفه إلى جيبه ، وهو يلقي أوامره
الجديدة لرجاله ..

الأوامر التى ستشعل النيران فى كل شيء ..

كل شيء ..

بلا استثناء .



ابتسم (مجدى) فى سخريه عصبية متشفية ، وهو يقول :

- ألا تفهمين معناه حقاً؟!!

أشار إليه أحد رجال الشرطة ، قائلاً فى توتر :

- إنهما يرفضان الخروج من السيارة .

انعقد حاجبا (مجدى) فى غضب ، وهو يقول فى حدة :

- سنجبرهما على هذا .

أشار (نديم) بسبابته ، قائلاً فى هدوء صارم حازم :

- أحذرك من فعل هذا ، ففى حكم القانون ، تعتبر السيارة مكاناً خاصاً ، تماماً مثل المنزل ، ولا يمكنك اقتحام كليهما ، إلا بناءً على أمر مباشر ، أو إذن من النيابة ، وإلا تعرضت للمساءلة ، ولاحتمال التقاضى والتعويض أيضاً .

قال (مجدى) فى حدة :

- وماذا عن الاشتباه؟!!

هزَّ (نديم) كتفيه ، قائلاً :

- لا بد أن تسبقه تحريات جادة ، أو يقترن بعدم حمل الشخص لأوراقه الشخصية أو هويته ، وبالنسبة لحالتنا

هذه ، لقد عملنا معاً لبعض الوقت ، وهذا يعنى أنك تعرفنى جيداً ، ومن السهل إثبات هذا ، مما يحتم أن ..

قاطعته (مجدى) فى غضب :

- وماذا لو ضربت بكل هذا عرض الحائط ، وقمت بتفتيش سيارتك قسراً ، وعثرت فيها على زى (العقرب) .

مطَّ (نديم) شفتيه بلا مبالاة ، وهو يقول :

- لن يكون لهذا أية أهمية ؛ لأنه تفتيش غير قانونى ، وكل ما ينجم عن خطأ هو خطأ أيضاً ، و ...

قاطعته (مجدى) بصيحة هادرة :

- فليكن .. لن يعينى أن ترفض النيابة الاعتراف بالدليل .. يكفينى أن أتيقن أنا من الأمر بصفة شخصية .

هزَّ (نديم) رأسه ، قائلاً :

- كان يمكنك هذا بالفعل ، لولا أنك أضعت وقتاً ثميناً فى هذه المحاوره .

سأله (مجدى) فى عصبية شديدة :

- ماذا تعنى؟!!

ارتسمت على شفتي (نديم) ابتسامة ، لم ترقى له أبداً ،
وهو يشير بسبأبته إلى ما خلف (مجدى) ، مجيباً :

- أعنى أن رئيسك قد وصل .

استدار (مجدى) إلى حيث يشير (نديم) ، فى حركة
حادة ، والتقى حاجباه فى غضب شديد ، عندما رأى سيارة
اللواء (حلمى) تتوقف ، ويغادرها هذا الأخير ، وهو يقول
فى حدة :

- ماذا تفعل هنا أيها العقيد !؟

أطلقت (غادة) من أعماق أعماقها زفرة حادة ، وهى
تهتف :

- أخيراً .

أما (مجدى) ، فقال فى عصبية :

- أودى عملى ياسيادة اللواء .

قال اللواء (حلمى) فى غضب صارم ، وهو يتجه نحوه :

- لست أذكر أننى قد نقلتك إلى قسم دوريات الطرق السريعة

أيها العقيد .

صاح (مجدى) فى حدة :

- لى ما يبرر اعتقالى لهذا الرجل ياسيادة اللواء .

سأله فى صرامة :

- وما مبرراتك !؟

قال فى عصبية شديدة :

- أشك فى أنه (العقرب) .

صاح اللواء (حلمى) فى غضب :

- تشك !؟ فقط تشك !؟

هتف (مجدى) ، وقد تضاعفت عصبية :

- لو أننى عثرت فى سيارته على ثياب (العقرب) ،

فسوف ..

قاطعه اللواء (حلمى) فى حدة غاضبة :

- لو !؟ أهذا ما تعلمته طوال عملك فى الشرطة !؟ لو !؟

قال (مجدى) فى حدة :

- سيادة اللواء .. أرى أنك تتحاز بشدة لـ ...

قاطعته (نديم) فى سرعة :

- للقانون يا عزيزى (مجدى) .. للقانون وحده .

احتقن وجه (مجدى) فى شدة ، وهو يدير عينيه إليه فى

حركة حادة ، فى نفس الوقت الذى عقد فيه اللواء (حلمى)

ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى صرامة :

- والآن ، لو أنك تحمل إننا من النيابة بالتفتيش فافعل ،

أما لو لم تكن ، فليصرف فوراً .

ثم التفت إلى رجال الشرطة ، مكماً بنفس الصرامة :

- ارفعوا الحواجز .

أسرع الرجال يزيحون حواجز الطريق ، فأدارت (غادة)

محرك سيارة (نديم) ، وهى تغمغم فى توتر شديد :

- سأغادر هذا المكان بأقصى سرعة .

ابتسم (نديم) ، وهو يقول :

- بل بكل هدوء وثقة يا عزيزتى .. هذا سيستفز صديقنا

(مجدى) أكثر .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز اللاسلكى ، الذى
يحملة (مجدى) ، فرفعه هذا الأخير إليه فى سرعة ، قائلاً :

- العقيد (مجدى) .. ماذا هناك !؟

اتسعت عيناه بشدة ، على نحو جذب انتباه الجميع ،
وجعل (غادة) تتمتم :

- ترى ماذا !؟

قبل أن تتم عبارتها ، هتف (مجدى) بانفعال شديد :

- سأحضر على الفور .

ثم أنهى الاتصال ، واستدار إلى اللواء (حلمى) مستطرداً ،
بكل انفعاله :

- مخازن (رشاد السلباوى) .. لقد اشتعلت فيها النيران
كلها .

واتسعت عيون الكل عن آخرها ..

فقد كانت مفاجأة ..

مذهلة ..

انتفاضة مباغته سرت في جسد (غادة) ، وجعلتها تهب من نومها مضطربة ، قبل أن تتطلع فيما حولها ، ثم تطلق زفرة عصبية ، مغممة :

- آه .. مرة أخرى أقضى ليلتي في المكتب .

نهضت من الأريكة الوثيرة في حجرة مكتبها ، وتشاءبت في إرهاق ، وهي تلقي نظرة على ساعة يدها ، قبل أن تضيف :

- السابعة والرابع .. عظيم .. يبدو أن هذه أضمن وسيلة ، لكي أصل إلى العمل مبكراً ، وأجد موضعاً للانتظار السيارة أيضاً .

مالت تتطلع إلى المرأة الصغيرة في حجرتها ، ثم مطت شفيتها ، مكملة :

- وأضمن وسيلة لأبدو قبيحة في الصباح أيضاً .

أخرجت حقيبتها ، وراحت تولى زينتها عناية سريعة ، قبل أن تغادر حجرتها ، وتتجه إلى حجرة (نديم) ، التي ترك بابها مفتوحاً على مصراعيه ، وقالت وهي تدلف إليها :

- من الواضح أنك لم تتم لحظة واحدة منذ مساء أمس .

غمغم ، وهو يقلب الكتاب الأحمر الفاخر بين يديه :
- لقد حاولت ... وفشلت .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً في شيء من التوتر ، أفسد هدوءه التقليدي :

- فحصت هذا الكتاب أكثر من مائة مرة ، ولم أجد شيئاً .
جلست على مقعد قريب ، وهي تقول :

- ربما الأمر لا يكمن في الكتاب نفسه .. ربما في الصناديق التي تحوى الكتب ، أو في مكان سرى بالمخزن ، أو ...
قاطعها في حزم :

- كلاً .. إنك لم ترى وجه (إدوارد) ، عندما لوحت له بالكتاب .. ثم إن إحراق المخازن يعني محاولة إخفاء أمر ما .. أمر يتعلق بشحنة الكتب هذه .

قلبت كفيها في استسلام ، قائلة :

- ولكنك لم تجد شيئاً .

قلب الكتاب بين يديه مرة أخرى ، قبل أن يقول في حزم :

- ربما لم أبحث بأسلوب سليم .

تراجعت في مقعدها ، قائلة في توتر :

- كل مرة أتأكد من أنك عنيد للغاية يا (نديم) .

قال في سرعة :

- هذا صحيح .

ثم مال نحوها ، مستدركاً :

- ولكنني لست مكابراً .

ظهر عم (أحمد) فراش المكتب ، في هذه اللحظة ،
وبدت عليه الدهشة ، وهو يقول :

- أنتما هنا؟! في هذه الساعة!؟

لوح (نديم) بيده ، قائلاً :

- العمل مرة أخرى يا عم (أحمد) .. مارأيك لو أعددت
لنا قدهين من القهوة المركزة!؟

ارتفع من خلف عم (أحمد) صوت صارم قاسٍ ، يقول :

- اجعلهما خمسة .

ثم برز (إدوارد) عند باب حجرة مكتب (نديم) ، وخلفه

اثنان من رجال أمن شركات (رشاد السلباوى) ، بجسديهما
الضخمين ، وعضلاتهما المفتولة ، وتلك النظرة الشرسة
المتحفزة ، المظلة في عيونهما ..

وبحركة سريعة ، أمال (نديم) يده الممسكة بالكتاب
الأحمر الفاخر ، خلف حافة المكتب ، ودسّه في درج مفتوح ،
ثم أغلق ذلك الدرج في بطء ، وهو يقول هادئاً :

- يالها من زيارة ، في هذه الساعة المبكرة!

من حركة عيني المحامى ، أدرك (نديم) أنه قد لمح ما فعله ،
ولقد أعلن هذا بلهجته الصارمة القاسية ، وهو يقول :

- أظنك قد احتفظت بشيء يخصنا ، من باب الخطأ ياسيد
(نديم) .

تراجع (نديم) في مقعده بهدوء ، قائلاً :

- أى شيء هذا!؟

نقلت (عادة) بصرها بينهما فى حذر ، والمحامى يجيب
فى شراسة :

- كتاب أحمر أنيق ، من القطع الكبير .. جزء من موسوعة
عامة بالتحديد .

صمت (نديم) لحظة ، ثم مال إلى الأمام ، قائلاً بنفس الهدوء ، وإن اكتست نبرته بشيء من الصرامة هذه المرة :

- وبم يفيدكم هذا الجزء ، وقد احترقت الموسوعات كلها ، حسبما سمعت !؟

احتقن وجه المحامى غضباً ، ومدّ يده إلى الأمام ، قائلاً بكل الصرامة :

- الكتاب ياسيد (نديم) .

تبادلا نظرة طويلة متحدية ، قبل أن يتراجع (نديم) في مقعده ، ويلتقط سماعة هاتفه ، قائلاً في صرامة واضحة :

- ليس لدى أى شيء يخصكم ياسيد (إدوارد) ، ولولم تغادروا مكتبى الآن ، فسوف .

قبل أن يتمّ عبارته ، تراجع المحامى الذئب خطوة حادة إلى الخلف ، ثم أشار بيده في صرامة ، فاندفع الحارسان فى آن واحد ، وكل منهما يستلّ مسدسه ، وأحاط أحدهما عنق عم (أحمد) بذراعه القوية ، وألصق فوهة مسدسه بعنقه المتغضن ، فشهب المسكين فى رعب ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها الثانى على (غادة) ، وجذبها من شعرها

فى قسوة ، قبل أن يلصق فوهة مسدسه بأذنها اليمنى ، قائلاً فى وحشية :

- كلمة واحدة وأصنع قناة مباشرة بين أذنك .

هبّ (نديم) من مقعده ، قائلاً فى غضب :

- ما هذا بالضبط !؟

أجابه (إدوارد) فى سرعة وصرامة :

- أسلوب أفضل فى التعامل مع عقرب مثلك ياسيد (نديم) .

صاح به (نديم) :

- هذا الأسلوب ينقلك ، من قائمة المحامين إلى خاتة البلطجية .

أجابه (إدوارد) فى تحد :

- بالضبط .. ولكن بأسلوب قانونى ونكى أيضاً ، فالمسدسان مزودان بكاتمى صوت ، كما لا بد أنك قد لاحظت ، ولدينا عشرة شهود على الأقل ، على أن ثلاثتنا لم نغادر مقر الشركة لحظة واحدة ، منذ اندلع حريق المخازن ، وحتى تحضر الشرطة لاستجوابنا .. ثم إن المسدسين مستعملان ، وكلاهما سيتمّ تعرفه كسلاح مستخدم فى جرائم سابقة فى الصعيد .

تطلّع (نديم) لحظة إلى الرعب المطلّ من عيني (غادة)
وعم (أحمد) ، وإلى الوحشية الواضحة في نظرات وتصرفات
رجلي أمن شركات (رشاد السلباوي) ثم إلى تلك الصرامة
القاسية الشرسة ، في وجه (إدوارد) ، قبل أن يقول في توتر :

- ماذا تريد بالضبط !؟

حملت كلمات (إدوارد) نبرة ظافرة ، وهو يقول :

- الكتاب يا سيّد (نديم) ، وأية نتائج حصلت عليها من
فحصه .

اخترقت العبارة الأخيرة مخ (نديم) مباشرة ، وأطلقت صفارة
إنذار كبيرة .. إذن فالكتاب يحوى شيئاً ما بالفعل ..

شيء جازف (إدوارد) بهجوم مباشر لاستعادته ..

وبأى ثمن ..

« الكتاب والنتائج يا سيّد (نديم) ، وإلا .. »

أطلق (إدوارد) عبارته في صرامة وحشية رهيبية ، فمطّ
(نديم) شفّتيه ، قائلاً :

- فليكن .

وفي استسلام عجيب ، انحنى يفتح درج مكتبه ، و ...
« انتظر .. »

هتف (إدوارد) بالكلمة في حدة ، وهو يستلّ مسدسه ،
ويصوبه إلى (نديم) ، مستطرذاً في عصبية :

- ببطء ، ودون أية مفاجآت .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على ركن شفّتي (نديم) ،
وهو يقول :

- اطمئن أيها الحقير .. لست أهوى التعامل مع الأسلحة
النارية .

ثم اعتدل ، وهو يحمل ذلك الكتاب الأحمر الأنيق ،
مستطرذاً :

- فالأسلحة لا تكون بالضرورة نارية .

مدّ (إدوارد) يده في لهفة ، ليلتقط الكتاب ، و ...

وفجأة ، ارتفع رنين جرس الباب ، مع صوت قوى ،
يهتف :

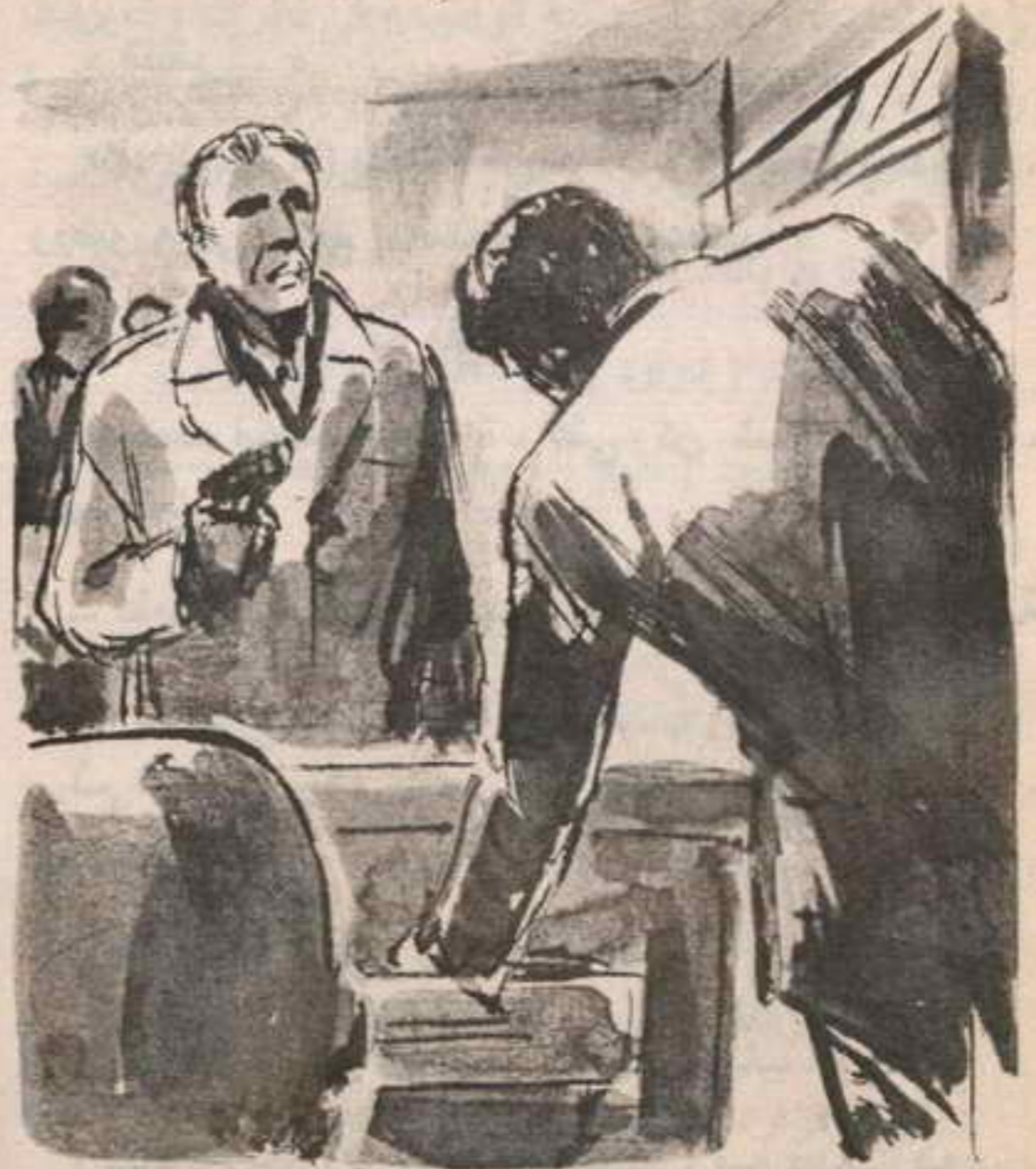
- افتح الباب .. شرطة .

تراجع (إدوارد) بحركة حادة ، وامتنع وجهه بشدة ،
واضطرب حارساه ..

وبحركة مباغنة سريعة ، وثب (نديم) عبر المكتب ،
وانقضَّ على الرجال الثلاثة ..

واشتعل الموقف كله دفعة واحدة ..

بمنتهى العنف .



هتف (إدوارد) بالكلمة في حدة ، وهو يستل مسدسه ، ويصوبه إلى

(نديم) ..

من الساعة ، وعلى الرغم من هذا ، كانت هناك بعض الكتب ، التي لم يصبها التلف تمامًا ؛ لأن أجهزة إطفاء الحريق غمرتها بالماء أو الرغوة المطفئة .

تلقت العقيد (مجدى) حوله ، مغمغماً :

- من الواضح أنهم لا يستخدمون هذه النظم هنا .

نهض الفنى ، قائلاً :

- مستحيل ! كيف حصلوا على الترخيص إذن ؟!

ثم أضاف فى سرعة :

- إلا إذا ..

سأله (مجدى) بسرعة أكبر :

- إلا إذا ماذا ؟!

هزَّ الفنى رأسه ، وتردد لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

- إلا إذا كان أحدهم قد تعمد ألا تعمل أجهزة إطفاء الحريق .

انعقد حاجبا (مجدى) فى شدة ، وهو يسأله :

- هل تعنى أن هذا الحريق متعمد ؟!

٦ - المبيد ..

انحنى فنى المعمل الجنائى يفحص بقايا الحريق فى اهتمام ، قبل أن يهزَّ رأسه فى حيرة ، مغمغماً :

- عجباً !

تثاءب العقيد (مجدى) فى إرهاب ، قبل أن يسأله :

- ماذا هناك ؟!

هزَّ الفنى رأسه مرة أخرى ، قائلاً :

- لقد كان حريقاً مدمراً ، حتى إنه قد التهم كل شىء ، كما لو أنه لا توجد أية نظم أمن مضادة للحريق ، فى المكان كله .

قال (مجدى) فى اهتمام :

- ولكنها كلها كتب .. أوراق شديدة الاشتعال .

عاد الفنى يهزَّ رأسه ، ويقول :

- ولو .. أين نظم الأمن الصناعى إذن ؟! لقد عاينت يوماً حريقاً ضخماً ، فى مطبعة كبرى ، استغرق ما يقرب

تراجع الرجل ، ولوَّح بكفه في ذعر ، هاتفاً :

- أنا لم أقل هذا .. هذا قرار سابق لوقتِه ، وليس من حقي حتى أن أتخذه .. لا بد من إتمام الفحص أولاً ، و ...

قاطعُه (مجدى) في حدة :

- لست أسألك رأياً رسمياً يا رجل .

تلَفَّت الرجل حوله في هلع ، قبل أن يهمس :

- أتعنى أنني لست مضطراً لتكرار هذا أمام وكيل النيابة ، أو القاضى ، أو ...

قاطعُه (مجدى) بزمجرة عصبية ، قائلاً :

- لست مضطراً لأى شيء .

تلَفَّت الرجل حوله مرة أخرى ، ثم همس في انفعال :

- لو أردت رأيى الشخصى إذن ، فهو حريق متعمد .

اعتدل (مجدى) ، مغمغماً في توتر :

- هكذا !

مال الرجل على أذنه ، مكملًا :

- أما بالنسبة للكتب ، فلم تحترق كاملة .

هتف (مجدى) في غضب :

- ولكنك قلت : إن ..

قاطعُه الرجل في ذعر :

- اخفض صوتك بالله عليك .. إننى أقصد أن الكتب لم تكن كاملة ، عندما تعرَّضت للحريق .

عاد حاجبا (مجدى) ينعقدان ، وهو يتساعل في عصبية :

- ماذا تعنى !؟

مال نحوه أكثر ، وهو يلوِّح ببقايا غلاف أحمر محترق ، وهو يجيب :

- لقد انتزعوا منها جزءاً مهماً .

وانخفض صوته ، وكأنما يخشى أن يسمع نفسه ، وهو يضيف :

- الكعب .

واتسعت عينا (مجدى) عن آخرهما ..

فقد كانت مفاجأة بحق ..

مفاجأة جديدة ..

ومدهشة ..

من المؤكد أنه ، وعلى الرغم من سنوات عمله في المحاماة ،
إلا أن (نديم فوزى) لم يفقد لياقته قط ، كرجل شرطة
سابق ..

وكعقرب حالى ..

فقد وثب عبر مكتبه ، وركل مسدس (إدوارد) ركلة قوية ،
قبل أن يلقي الكتاب الأحمر الكبير بكل قوته ، نحو حارس
الأمن ، الذى يمسك عم (أحمد) ، فى نفس اللحظة التى
انزلت فيها (عادة) بمرونة مدهشة ، من يد الحارس
الآخر ، ثم دارت حول نفسها فى رشاقة ، لتهوى بقبضتها
على أنفه مباشرة ..

وفى لحظة واحدة ، ارتفعت تأوهات الحارس الثانى ، مع
تحطم أنفه ، وانطلقت شهقة مكتومة من الحارس الأول ،
الذى أصاب الكتاب رأسه ، وألقاه أرضاً فى عنف ..

وبكل الرعب ، تراجع عم (أحمد) ، واتكمش فى أحد الأركان ،

فى حين دار (نديم) حول نفسه ، ليركل الحارس الأول
ركلة كالقنبلة فى أنفه ، ثم أخرى فى معدته ، فى نفس
اللحظة التى انقضت فيها الحارس الثانى على (عادة) ،
وهو يطلق صرخة غاضبة وحشية ..

وبنفس الرشاقة ، انخفضت (عادة) ، متفادية انقضاة
الحارس الثانى ، وتركته يتجاوزها ، ثم دارت حول نفسها ،
وركلته فى ظهره بكل قوتها ، فاندفع إلى الأمام ، ليرتطم
رأسه بحافة مكتب (نديم) ، ثم يسقط أرضاً ، وهو يطلق
شخيراً عجيباً مختنقاً ..

أما الحارس الأول ، فقد تراجع مع ضربتى (نديم) ، ثم
عاد ينقض فجأة على (نديم) ، ويكيل له لكمة عنيفة ،
تراجع معها (نديم) فى حدة ، وارتطم بالمحامى (إدوارد) ،
الذى كبّل ذراعيه من الخلف ، صائحاً :

- هيا يا (جابر) .. حطم عنقه .

هوت قبضة (جابر) بكل قوتها على عنق (نديم) ، إلا أن
هذا الأخير دفع جسده إلى الخلف بقعة ، فاختلف توازن
(إدوارد) ، وسقط معه أرضاً ، فطاشت لكمة (جابر) ، فى
نفس اللحظة التى ارتفعت فيها قدم (نديم) ، لتركله فى

فكه ركلة قوية عنيفة ، ألقته خلفاً ، ليسقط على ظهره أرضاً ، فاستقبلته (عادة) بركلة أخرى ، هاتفة :

- هيا .. اسقط أيها الوغد .

انطلق من حلق (جابر) خوار كالثور ، ثم اتهار جسده فاقد الوعي ، فى نفس اللحظة التى انفلت فيها (نديم) من ذراعى (إدوارد) ، ثم وثب يلتقط مسدس هذا الأخير ، ويصوبه إليه ، قائلاً :

- أعتقد أن اللعبة قد انتهت هنا ياسيد (إدوارد) .

أدار (إدوارد) بصره بين رجليه الفاقدى الوعي ، قبل أن يقول فى عصبية ، وهو ينهض من سقطته :

- لو أنك تتصور أنك بهذا قد انتصرت ، فأنت واهم .

ابتسم (نديم) فى سخرية ، وهو يقول :

- ولو أنك تتصور أنك عبقرى ، فهذا أكبر دليل على حماقتك ، خاصة وقد حدثت بحهاز إنذار بسيط ، أوهمك بقدم رجال الشرطة .

عدل (إدوارد) رباط عنقه ، وهو يقول :

- خدعة طريفة ياسيد (نديم) .. عيبها الوحيد هو أنه يستحيل تكرارها .

هزاً (نديم) كتفيه ، قائلاً :

- مازال فى جعبتى الكثير .

مال (إدوارد) إلى الأمام ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

- وأنا أيضاً .

مع آخر حروف كلمته ، ارتفع رنين هاتفه الخلوى بغتة ، فالتقطه بحركة آلية ، وقال فى عصبية :

- (إدوارد) .

أتاه صوت أحد رجاله من المطار ، وهو يقول :

- سيد (إدوارد) .. إنه أنا .. لقد وصل المبيد من (إيطاليا) .

تألقت عينا (إدوارد) ، وهو يهتف :

- وصل؟!

ثم اتسعت ابتسامته ظافرة كبيرة على وجهه ، وهو يكمل :

- عظيم .. قل له : إننى أريده أن يبدأ عمله فوراً ..
وسيحصل على مكافأة سخية للغاية ، لو أتمه بنجاح .

أنهى المحادثة ، وأعاد الهاتف إلى جيبه ، فى نفس اللحظة
التي استعاد فيها حارساه وعيهما ، فقال (نديم) فى حذر :

- أراهن أنه خبر شرير ، ذلك الذى أسعدك هكذا .

رمقه (إدوارد) بنظرة مستفزة ، قائلاً :

- بالنسبة لى هو خبر ممتاز ياسيد (نديم) .

ثم أشار إلى حارسيه ، مستطرداً :

- أعتقد أنك لن تبلغ الشرطة بما حدث ؛ لأن هذا يضعك
أيضاً فى دائرة التساؤل ، خاصة وأن الكل رأى (العقرب)
أمس ، وهو ينصرف بنسخة الكتاب هذه ، وهذا يعنى أنه
يمكننا أن ننصرف بكل هدوء .

قال (نديم) فى صرامة :

- على ألا تعودوا مرة أخرى .

ثم انتزع خزانة مسدس (إدوارد) ، وألقاها فى سلة
المهملات ، وجذب مشط المسدس ، ليفرغ الرصاصات
المتبقية فى ماسورته ، قبل أن يلقيه إليه ، مستطرداً :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٧١

- المسدسان الآخران سنتخلص منهما بمعرفتنا .

قال (إدوارد) فى سخرية :

- لا بأس .. لدينا عشرات مثلهما .

وأشار مرة أخرى إلى رجاله ، واتجه ثلاثتهم نحو الباب ،
فهتف بهم (نديم) فى صرامة :

- تذكروا ألا تعودوا هنا مرة أخرى .

ابتسم (إدوارد) فى سخرية ، قائلاً :

- من يدري؟! ربما اضطررنا للعودة ..

ثم استدار يتطلع إلى عيني (نديم) مباشرة ، مستطرداً :

- للتعزيز .

قالها ، وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو ينصرف مع
حارسيه ، فهتف عم (أحمد) ، فى ارتياح مستنكر :

- ألن تبلغ الشرطة حقاً؟!!

ابتسم (نديم) ، قائلاً :

- لا تقلق نفسك بهذا يا عم (أحمد) .. هيا .. انس أمر



اندفعت (غادة) نحوه ، قائلة :

- ماذا وجدت ؟!

ولم تكذ تتطلع إلى كعب الكتاب ، الذي يحمله في يده ،
حتى سرت في جسدها كله ارتجافة قوية ..

فقد كان ما تراه مدهشًا ، وغير متوقع ..

على الإطلاق .

تابع البقية في الكتاب القاروم

القهوة ، وسنكتفى بكوبين من مشروب النعناع الساخن
لتهدئة أعصابنا .

حدق الشيخ في وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه
في استسلام ، مغفمًا :

- يا للشباب !

ابتسم (نديم) ، وسأل (غادة) :

- أنت بخير ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

- لم أكن أبدًا أفضل ، ولكن هل تعلم ما الذي يعنيه
ما حدث الآن ؟!

انحنى يلتقط الكتاب الأحمر الملقى أرضًا ، وهو يجيب :

- أهم ما يعنيه هو أن (رشاد السلباوى) مجرد واجهة
لأمر إجرامى رهيب ، يديره فعليًا ذلك الذئب (إوارد) ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما انفصل كعب الكتاب بين أصابعه
على نحو مفاجئ ، فرفعه يحدق فيه ، قبل أن يهتف :

- رباه ! من كان يتصور هذا ؟!

- سيادة اللواء يطلبك فوراً أيها الرائد .

اعتدلت بنفس الهدوء المستفز ، وسألته :

- ماذا هناك !؟

هتف بانفعال :

- يقولون : إن بعضهم دس قنبلة هنا .

قلت ، وأنا أنهض من مقعدى فى سرعة :

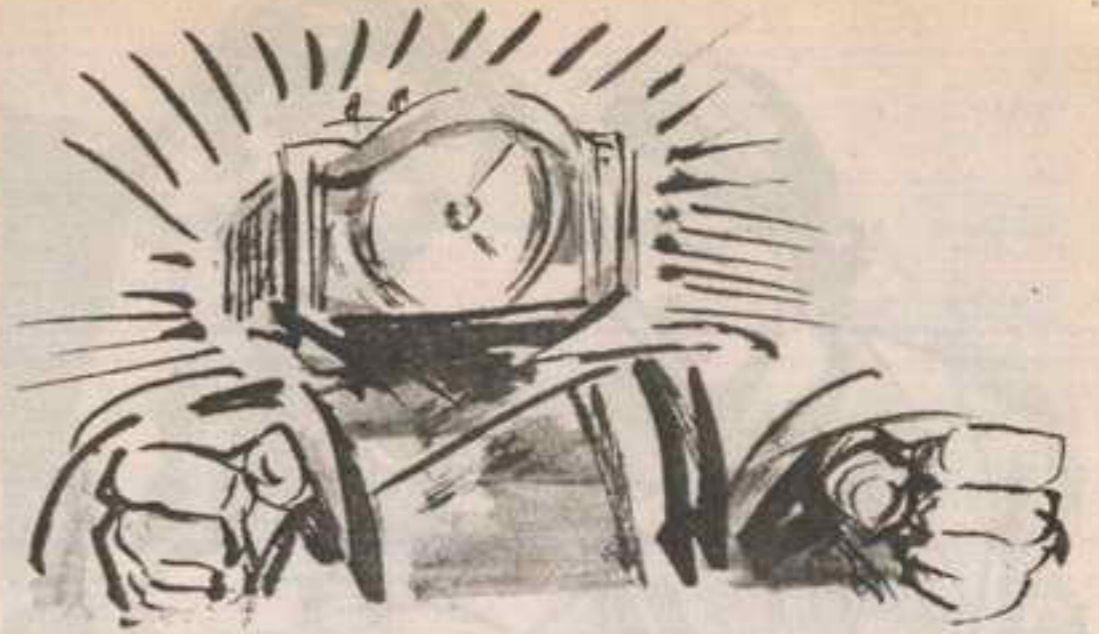
- قنبلة !؟

لم تمض دقيقة واحدة ، على قولى هذا ، حتى كنت أقف أمام مدير الأمن ، الذى لوّح بذراعيه كليهما ، وهو يهتف فى انفعال شديد :

- هل تصدّق هذا أيها الرائد !؟ هل تصدّق أن أحدهم قد نجح فى دس قنبلة زمنية هنا !؟ فى مديرية الأمن !؟

أشرت بيدي ، قائلاً فى حزم :

- معذرة ياسيادة اللواء ، ولكن كيف وصلتنا هذه المعلومة !؟



القنبلة

(قصة قصيرة)

على الرغم من حالة التوتر الشديد ، التى سادت مبنى مديرية الأمن ، وأفصحت عن نفسها فى وضوح ، مع وقع الأقدام ، التى تعدو فى كل مكان ، والتهتافات العصبية غير الواضحة ، التى تتناهى إلى مسامعى ، من الممر الخارجى ، إلا أننى ظللت جالساً فى مكتبى ، أدخن سيجارتى فى هدوء ، وكأنما لا يعنينى الأمر كله ، حتى اقتحم أحد الضباط الجدد مكتبى دون استئذان ، هاتفاً :

لَوْحَ بذراعِهِ ، واحْتَقَنَ وجهه ، وكأنما يعجز لسانه عن
النطق ، ثم لم يلبث أن ترك جسده يهوى على مقعده ،
قائلاً :

- بلاغ من مجهول .. محادثة هاتفية ، من هاتف عمومي
في أحد الشوارع ، أخبرنا بالأمر .

سألته في اهتمام :

- وهل صدقتم قوله ؟!

مطً شفّتيه ، ولوّح بيده مرة أخرى ، قائلاً :

- لقد منحنا دليلاً لا يقبل الشك :

سألته في لهفة :

- وما هو ؟!

بدا صوته محبطاً محنقاً ، وهو يجيب :

- أخبرنا أنا سنجد قنبلة أخرى هيكلية ، أسفل دولا ب
الذخيرة ، في حجرة السلاحك .

ثم مال إلى الأمام ، وقال في مرارة :

- ولقد عثرنا عليها ، في الموضع الذي وصفه بالضبط .

هتفت بانفعال :

- مستحيل !

ضرب المدير سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :

- هذا يثبت وجود القنبلة الحقيقية .

قلت في سرعة :

- ويثبت أمراً آخر أيضاً .

أطلت من عينيّه نظرة متسائلة فملت نحوه ، مستطرداً

في حزم :

- أن للرجل شريكاً هنا ، في مديرية الأمن .

ظهر الذعر على وجه المدير ولكنني تابعت بمنتهى الصرامة :

- الوصول إلى حجرة السلاحك ليس بالأمر السهل ،

وهو غير متاح إلا لبعض العاملين هنا ، وكبار الضباط ،

وهذا يعني أن أحدهم هو الذي وضع القنبلة في الحجرة .

امتقع وجه المدير ، وهو يقول :

- ضابط خائن ! يا إلهي ! إنها كارثة !

قلت مؤمناً على قوله :

- وأية كارثة ! إنها مصيبة !

وصمت لحظة ، قبل أن أضيف :

- ولكننا كنا نتوقعها .

شحب وجه المدير ، وهو يقول :

- هذا صحيح .. منذ بدأت تلك الاضطرابات ، عام ألفين

وخمسة ، وعديد من رجال الشرطة ينضمون للمتمردين ..

يبدو أن الأمر يفلت من بين أصابعنا يا معاون المباحث .

قلت في حزم :

- ليس بعد .

وقبل أن ينطق حرفاً آخر ، سألته في سرعة :

- وهل أخبرنا ذلك المجهول ، متى ستفجر تلك القبيلة !؟

قلب المدير كفيه في يأس ومرارة ، مغمغماً :

- مطلقاً .

تراجعت بحركة حادة ، هاتفاً :

- ماذا ننتظر إذن !؟

أجاب في توتر :

- إننا نقوم بتفتيش المكان كله ، و ...

صحت في حدة :

- وماذا يا سيادة المدير !؟ إننا لانعلم متى ستفجر تلك

القبيلة .. وربما تنفجر الآن .

امتقع وجهه أكثر ، وهو يسألني :

- ماذا تقترح يا معاون المباحث !؟

هتفت به في صرامة أمره ، على الرغم من فارق الرتب

الكبير بيننا :

- لا بد من إخلاء مبنى المديرية فوراً .

هتف مذعوراً :

- ولكن هذا مستحيل ! إنه يحتاج إلى قرار وزير .

التقطت سماعة الهاتف ، وأنا أقول في حزم :

- الوزير سيقدر حتماً طبيعة وحساسية الموقف .

ورحت أطلب رقمًا خاصًا ، وأنا أضيف :

- وسأحمل أنا المسؤولية كاملة ، باعتباري معاون المباحث .

سألني في توتر :

- ماذا ستفعل بالضبط !؟

أجبت في حزم :

- سأقوم باستدعاء قوات مكافحة الإرهاب ، وقسم التعامل

مع المتفجرات ، بينما تأمر أنت الجميع بمغادرة المبنى فوراً .

كانت خطتي متقنة تمامًا ، فلقد ألقى مدير الأمن أوامره ،

عبر مكبرات الصوت ، في المبنى كله ، ولم تمض دقائق ،

حتى وصلت سيارة مكافحة المتفجرات ، وهبط منها فريق

من الرجال ، بملابسهم السوداء وخوذاتهم القاتمة ، واندفعوا

ينتشرون في المبنى ويسيطرون عليه ..

ولم تمض دقائق أخرى ، حتى وصلت سيارة نصف

نقل مغلقة ، إلى الباب الخلفي لمبنى المديرية ، وراح بعض

الرجال ينقلون إليها كل ما يحويه المبنى من أسلحة

وذخائر ..

أما أنا ، فقد عدت إلى مكنتي ، ورحت أدخن سيجارتي

في هدوء ، حتى لمحت من النافذة تلك السيارة نصف

النقل تبتعد ، فابتسمت في استرخاء وتكاسل ، وانتظرت

حتى انطلق أزيز جهاز الاتصال اللاسلكي ، فالتقطته ،

قائلًا :

- كيف الحال !؟

أتاني صوت صارم حازم ، يجيب :

- كل شيء تم وفقًا للخطة .

غمغمت :

- عظيم .

وبنفس الهدوء ، نهضت أرطدي زياً مماثلاً لزي رجال

مكافحة المتفجرات ، وخوذة داكنة تخفي ملامحي ، ثم

انحنيت ألتقط القنبلة من أسفل مكتبي ، وأعدت ضبط
توقيتها ، قبل أن أغادر المبنى كله ، في سيارة مكافحة
المتفجرات .

ومن حسن الحظ أن أحداً لا يحاول عد أفراد فرق
الأمن ..

هذا ما جال بخاطري ، ونحن نبتعد بالسيارة ، والانفجار
ينسف مبنى مديرية الأمن نسفاً ، ويعلن انتصاراً جديداً لنا ..
نحن المتمرين .

★ ★ ★

روايات مصرية الحبيب

كوكب
٢٠٠٠

مذكرات طبيب

في صعيد مصر الجواني

• الحلقة السادسة •



طباعة ونشر
المؤسسة العربية للخدمات
للطباعة والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٤ - ٦٨٦٩٩٤ - ٦٨٦٩٩٧
فاكس: ٦٨٦٩٠٢

مقدمة

هذه الخواطر هي سيرة ذاتية ..

وعمل أدبي ..

جزء من هذا ، وشيء من ذلك ..

إنها ذكريات لفترة من فترات حياتي ، ربما كان لها
الفضل ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فيما أصبحت عليه
الآن ..

فقد بدأت تلك الفترة طبيياً عادياً ، من مئات الأطباء ،
الذين حصلوا على شهادتهم الجامعية ، وأنهوا فترة
التدريب الإجباري (الامتياز) ، ثم انتقلوا لقضاء فترة
التكليف الإجبارية ..

وانتهت وأنا أضع قدمي على أول سلمة في مشوار
طويل ، كان ولا يزال مصدر متعني الوحيد ..

الأدب .. والقلم ..

والأوراق ..

ولقد تمنيت كثيراً أن أكتب هذه الذكريات والمذكرات ..

وترددت أكثر في كتابتها ..

ربما لأنني خشيت ألا يتقبل القارئ فكرة أن يضيع الكاتب
(أي كاتب) بعض الأوراق ، في الحديث عن نفسه ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٨٥

أو لأنه ليس من السهل أن يكتب المرء عن نفسه ..

وحياته ..

وذكرياته ..

ولكن شيئاً ما ، لست أدري كنهه بالضبط ، جعلني أحسم
ترددى هذا .

شيء ما ، جعلني أعجز عن مقاومة رغبتى في كتابة
هذه المذكرات ..

ربما لأنها أحداث مرت عليها ثمان عشرة سنة أو أكثر ،
وخشيت أن تذوب في بحر الذاكرة ، فتفقدني وأفقدتها ..

أو ربما لأن المرء يحتاج أحياناً إلى التحدث عن ذكرياته ..
ربما .

المهم أن هذه الأوراق بين يديكم الآن ..

اعتبروها مجرد عمل أدبي ..

وهذا سيكفييني ..

تماماً ..

و. نبيل فاروق

* * *

ولأن (عبد العليم) خريج علوم ومتفتح ، و(كمال) سائق
لسيارة ميني باص ، فقد خرج الاثنان معى لزيارة البدو ،
ولتفقد منطقة الجبال ، التى تحيط بى من كل جانب ..

فى البداية ، بهرتنى حياة البدو ، وأساليبيهم ، وطرق
علاجهم ، ورأيتهم يداوون مرض السكر بمسحوق الترمس
والبواسير بلبن الصبار ، وآلام المعدة بزيت البيض ..

وكل ما ذكرته فى الأسطر السابقة حقيقى ، وشاهدته بأم
رأسى ، حتى لقد تصورت أن هؤلاء هم الذين دهنوا الهواء
دوكو ، والذين خرّموا القرش من ناحية واحدة ..

ومع انبهارى بذلك الطب البدائى ، وبعد أن تناولت ثلاثة
ثعابين مشوية ، وعقربين مسلوقين ، وقليلاً من الظلوط المقلّى
بزيت البندريس ، بدأت أشعر بالإرهاق من حياة البدو ،
وقررت أن أكتفى بزيارة الجبل ..

وقبيل العصر ، حملتنا سيارة (كمال) إلى الجبال ..

وبالتحديد إلى تلك المنطقة الشهيرة ، المعروفة هناك باسم
(كولة أبو ليلة) ..

ومصطلح (كولة) هذا أدهشنى فى البداية ، ثم لم ألبث أن

كولة أبو ليلة ..

بدأ الأمر كله بفضول (غلس) ..

أحاديث شتى عن البدو ، وعاداتهم ، وطبائعهم الخاصة ،
وأساليبيهم المدهشة ، فى علاج عدد من الأمراض المزمنة
والمستعصية ، أثارت اهتمامى وفضولى ، ودفعتنى إلى البحث
عن وسيلة لزيارة البدو ، ومعايشتهم ، ورؤية عجائبهم
بنفسى ..

فى تلك الفترة كانت صداقاتى قد اتسعت ، وامتدت من
(أبو دياب شرق) إلى (أبو دياب غرب) ، تلك القرية الأكثر
تحضراً وحدائثاً ، بحكم وجودها على الطريق الأسفلتى
مباشرة ، والتى يربطها طريق ترابى ضيق بالقرية التى أعمل
بها ، بالإضافة إلى المزارع ، التى تتجاور بين القرينتين ..

وفى (أبى دياب غرب) ، جمعتنى الصداقة بعدد من
أفضل من عرفتهم فى حياتى كلها ..

(عبد العليم أبوزيد) .. و(كمال محروس) .. و(أبو الحسن) ،

و(عفيفى) ، و(أحمد محمود حسين) ، وغيرهم ..

أدركت أنه المصطلح الدارج لكلمة مرتفع ، أو جبل متوسط ، أو بمعنى أدق ، منطقة تنتشر فيها الجبال ، حول واد محدود .. هذا باختصار مُخِلّ ، معنى كلمة (كولة) ..

وفي طريقنا إلى هذه (الكولة) ، راح (عبد العليم) يروي لى بعض الحكايات الشائعة حولها ، ومنها أنها منطقة تحوى كنوز الدنيا كلها ، وأن الموعودين فقط من عثروا فيها على الذهب والمجوهرات والآثار ، و ... ، و ...

ومن كثرة حديثه وشدة حماسه ، خيل إلى أن كل كنوز الفراعنة قد تم العثور عليها فى هذه (الكولة) الأسطورية ، حتى قال (عبد العليم) فى حماس شديد ، أن (كولة أبو ليلة) هذه كانت تحوى الصخور السبع أيضاً ..

وهنا جذب الأمر انتباهى بالفعل ، وسألته عما يعنيه بهذه الصخور السبع ، فراح يروي لى قصة أشبه بالأساطير ، عن سبعة أحجار ضخمة ، فى ضخامة الهرم ، كانت موجوده قديماً فى وادى (كولة أبو ليلة) هذه ، ثم اختفت ذات يوم ، ولم يعد لها أدنى أثر ..

ومع قصة كهذه ، كان من الطبيعى أن أضحك طويلاً

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٨٩

وكثيراً ، وأن أسخر من القصة ، والفكرة كلها ، ولكن (عبد العليم) عاد يؤكد قصته بمنتهى الإصرار ، ويقول : إن ولده قد شاهد هذه الأحجار بنفسه ، و ... ، و ...

ولم أحاول معارضته مرة أخرى ، واكتفيت باستماع يفتقر إلى الحماس ، وسيارة (كمال) تنهب المنطقة ، فى طريقها إلى (الكولة) الأسطورية العجيبة .. (كولة أبو ليلة) ..

وأخيراً وصلت السيارة إلى (الكولة) ..

ولن يمكننى أبداً أن أصف لكم مشاعرى ، وأنا أشاهد هذه المنطقة للمرة الأولى ..

لقد وجدت نفسى أمام دائرة من الجبال متوسطة الارتفاع ، تحيط بمنطقة منبسطة تماماً ..

وكلمة منبسطة هذه ليست مجازية على الإطلاق ، فباستثناء بعض الحصى الصغير ، والأحجار المنتشرة هنا وهناك ، بفعل عوامل الطبيعة العشوائية ، كانت الأرض التى تحيط بها هذه الجبال عبارة عن مساحة منبسطة تماماً ، على نحو يستحيل وجوده فى الطبيعة ، مما يوحي إليك بأنه قد جرى تمهيدها ذات يوم ، وإعدادها لأمر ما ..

وبعد أحاديث ثقافية ممتعة ، حول البروفيسير (هريدى) صاحب نظرية (اللبذ فى الذرة) ، والفيلسوف الشهير (صميده) ، الذى أثبت أن المخ مجرد عضو إضافى بلا فائدة محددة ، تمامًا مثل الزائدة الدودية ، سألت الشيخ (إبراهيم) عن الأحجار السبعة ، فى (كولة أبو ليلة) ..

وبهدونه المعهود ، ورصانته التقليدية ، أخبرنى الشيخ (إبراهيم) أن القصة حقيقية تمامًا ، وأنه رأى تلك الأحجار السبعة الضخمة فى صباح ، وأن الواحد منها كان من الضخامة ، بحيث يختفى الجمل المحمل بالتبن ، عندما يسير خلفه ، ولكنه لا يدرى أين ذهبت تلك الأحجار ، ولما مصيرها ..

وعندما يسمع شخص قضى نصف عمره فى قراءة ودراسة الظواهر الغامضة حديثًا كهذا ، فى مكان مهمل ، مثل (أبو دياب شرق) ، فلا بد أن يشتعل فضوله على نحو طبيعى .. وهذا ما أصابنى بالتأكيد ..

ولقد طفت (أبو دياب شرق) كلها ، لأسأل كل الكبار عن (كولة أبو ليلة) وأحجارها الضخمة السبعة ، التى اختفت فى غفلة من الزمن ، دون أن تترك خلفها أدنى أثر ..

وعندما سعدنا إلى أحد هذه الجبال ، رأيت بقايا آثار سبعة أجسام ضخمة واضحة ، وسط تلك المساحة المنبسطة ..

ومع عقلية كعقليتى ، وقراءات علمية كثيرة يزخر بها عقلى ، كان من الطبيعى أن يخلب الموقف كله لى ، على نحو فائق ..

وطوال فترة وجودنا فى (كولة أبو ليلة) ، رحلت أفحص كل ما تقع عليه يداى ، وكأنا أتوقع أن أجد صامولة من سفينة فضاء ، أو فردة حذاء قديمة لمخلوق مريخى ، عاد إلى كوكبه حافياً ..

وعندما اقترب غروب الشمس ، كان من الطبيعى أن نعود إلى الوحدة الصحية فى (أبو دياب شرق) ، بعد أن أصبحت أنا من مجاذيب (كولة أبو ليلة) ..

وفى المساء ، وبعد عشاء طبيعى ، مكون من الويكة والملوخية ، مع كوب من عصير الويكة المثلج بماء الطلمبة ، جاء الشيخ (إبراهيم) ليقضى أمسيته بصحبتى كالمعتاد ..

والعجيب أن الكل راح يردد قصة واحدة لا تتغير ، وهي تؤكد أن الأحجار الضخمة السبعة كانت هناك ، ثم لم يعد لها وجود ..

ونظرًا للحجم التقديرى ، الذى وصف به الكل هذه الأحجار ، أصبح اختفاؤها أمرًا مثيرًا وعجيبًا للغاية .. ثم فجأة ، ظهرت تلك القصة الجديدة ..

كنت أتحدث عن الأحجار السبعة ، و(كولة أبو ليلة) ، عندما بدأ الحاج (حبنى) يروى بفترة قصة أكثر عجبًا ..

والحاج (حبنى) هذا ، لمن لا يعرفه ، أكبر معمر عرفته فى حياتى كلها ، فقد توفى فى أثناء عملى فى (أبو دياب شرق) ، عن مائة وخمسة وأربعين عامًا ، ولقد كتبتها بالحروف ، حتى لا يحدث أى خطأ مطبعى ، ولقد ظل طيلة عمره بدائيًا صارمًا ، لا وقت لديه للهزل أو الدعابة ، ولا يستمع إلى الراديو ، أو يشاهد التلفزيون ، أو حتى يغادر القرية ، حيث مسكنه وأرضه ..

ولهذا كان ما رواه الحاج (حبنى) مدهشًا بحق ..

لقد تحدثت عن طائرة من طراز ما ، وصفه بأنه هليكوبتر على الأرجح ، ولكن هذا كان فى أثناء الحرب العالمية الثانية (مما ينفى كونه طائرة هليكوبتر) ..

المهم أن تلك الطائرة ، غير المحددة الهوية ، قد هبطت فى تلك الفترة ، عند منطقة (كولة أبو ليلة) ، وخرج منها رجل وامرأة ، يرتديان زيًا فضيًا لامعًا ، مما أثار ذعر إخواننا الصعايدة ، وعلى رأسهم الحاج (حبنى) ، فهجموا على الرجل



والمرأة ، وقدموا لهما تحية معتبرة ، بكل شومة يحملونها ، حتى قضاوا عليهما تمامًا ، وبعدها حطموا الطائرة ، واحتفظ كل منهم بجزء منها ..

وبمنتهى الوقار والكبرياء ، كدت أقبل قدمي الحاج (حفنى) ويديه ، ليرينى فقط ذلك الجزء ، الذى احتفظ به ، من الطائرة إياها ..

ولأن الرجل طيب القلب ، فقد وافق بعد ثلاثة أيام ، وبعد أن خمن أنني قد بلغت الدرك الأسفل من الإذلال ، على أن يرينى تلك القطعة ، وغاب يوماً رابعاً ، ثم أتى ليرينى قطعة من القماش المهترئ ، من الواضح أنها كانت مدفونه فى مكان ما ، وفتحها ليخرج منها قطعة من معدن لامع ، حوالى عشرين سنتيمتراً فى ثلاثين سنتيمتراً ، مازالت تلمع وكأنها جديدة ، وعليها جزء من نقش لم يمكنى تمييزه أبداً ..

ولكن المدهش أنها ، وعلى الرغم من حجمها هذا ، كانت خفيفة الوزن إلى حد عجيب ..

وفى هذه المرة لم يفلح تقبيل الأيدي والأقدام أو حتى الـ (.....) ، فقد رفض الحاج (حفنى) تماماً أن يترك لى قطعة المعدن هذه ، وكأنها ميراث يحمل اعتبار وكرامة الصعيد كله ، ولكنه وعدنى بإحضارها مرة أخرى ، عندما يأتى صديقى الدكتور (محمد حجازى) لزيارتى ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ٩٥

وبعد عدة أشهر ، حضر الدكتور (حجازى) ..

ولكن الحاج (حفنى) لم يحضر قطعة المعدن كما وعد ..

ثم منعه بعدها أمر مهم جداً من الحضور ..

لقد مات ..

ومن المؤكد أن هذا قد حرم صديقى الدكتور (محمد حجازى) ، والأكثر اهتماماً منى بمثل هذه الأمور ، من رؤية تلك القطعة المعدنية ، التى كنت ، ومازلت ، وسأظل أصرّ على أنها جزء من سفينة فضاء من عالم آخر ، حتى ولو سخرت الدنيا كلها من تصوّرى هذا ..

فمن رأى ليس كمن سمع ..

أو قرأ ..

ولكن القدر لم يحرم الدكتور (حجازى) من مشاهدة وسماع فصل آخر من القصة .. فصل جاء بالمصادفة البحتة ..

فبينما نجلس معاً ، فى ساحة الوحدة الصحية ، جاء الخفير المسن عم (حارس) ، ليجلس على الأرض إلى جوارنا ..

و(حارس) هذا رجل ضئيل الجسد ، نحيل ، أشيب الشعر ،
ضخم الشارب ، على نحو يجعله أشبه بممثل هزلى ، فى
أحد الأفلام المضحكة ، ولكنه فى الوقت ذاته طيب القلب
للغاية ، وبسيط جداً ، شأن أى شخص لم يغادر القرية التى
نشأ فيها قط ..

ولأننا كنا نتحدث عن (كولة أبو ليلة) فقد اكتفى بمتابعة
حديثنا فى صمت ، حتى سأله الدكتور (حجازى) عما إذا كان
يعرف قصة تلك الأحجار السبعة ..

وهنا جعل عم (حارس) شعر رأسينا يقف رهبة ..

فببساطة مذهشة ، وتلقائية بلا حدود ، روى لنا عم
(حارس) أنه قد رأى تلك الأحجار السبعة فى طفولته ،
واعتماد اللهو عندها ، بحكم أن أرضهم تجاور موقعها ، ولكن
فى ذات ليلة ، خرج والده ليروى أرضهم على ضوء القمر ،
ثم عاد إلى المنزل مذعوراً ، يرتجف على نحو عجيب ، ثم
روى لهم أنه ، بينما كان يروى أرضه ، فوجئ بحجر ضخم لامع
يهبط من السماء ، ثم يخرج منه رجل فى زى فضى ، وعلى
رأسه كرة من الزجاج الداكن ، وأن هذا الرجل ، أو هذا
الجنى ، كما وصفه (حارس) ، نقلاً عن والده ، ألصق

بعض الأجسام المستديرة بتلك الأحجار السبعة الضخمة ،
فارتفعت كلها إلى السماء ، واختفت وسط الظلام ، قبل أن
يعود هو إلى مركبته ، وينطلق بها ..

وفى الصباح ، ذهب (حارس) وأشقاؤه ، مع عدد من
أهل القرية ، للتيقن مما رواه والده ، فلم يجدوا أثراً لتلك
الأحجار السبعة !!

هكذا ، وبكل بساطة ، ومن بين شفتى شخص لا يعلم
بعد أنهم قد اخترعوا الفيديو والتلفزيون ، وصف عم
(حارس) ، عن لسان والده ، سفينة فضاء ، ورائد فضاء
بزيه اللامع ، وخوذة التنفس على رأسه ؟

ولم يكن الأمر يحتمل تفسيراً آخر ..

فمن المستحيل أن يصف شخص مثله هذه الأمور ، ما لم
يكن قد سمعها عن لسان والده ، الذى وصف ما رآه بالفعل ..

والعجيب أننى عندما بدأت فى الاستفسار من كبار القرية
والمسنين ، عن القصة التى رواها حارس ، أكد الكل صحة
ما قاله والده فى الخمسينيات ، ولكنهم قالوا : إنه مخرف
حتمًا ، أو ملموس من الجن ، وإن أجمعوا فى تناقض
عجيب ، على أن الأحجار السبعة قد اختفت بالفعل ، فى
اليوم التالى لروايته ..

ولقد أرسلت أيامها رسالة بكل هذا للأستاذ (أنيس منصور) ، متصورًا أن ما حدث سيثير اهتمامه ولكنني لم أتلق جوابًا عنها أبدًا ..

وعندما أعياني البحث ، وأعييتني الحيلة ، توقفت عن ملاحقة قصة (كولة أبو ليلة) ، على الرغم من التساؤلات العديدة ، التي طرحتها في نفسي ، والتي لم أجد لها جوابًا شافيًا ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ..

فما طبيعة تلك الأحجار السبعة!؟

وما أهميتها!؟

وما صحة كل ما سمعته في (أبو دياب شرق) عنها!؟

ثم ، وهذا ما يستفزني حتى هذه اللحظة ، لماذا نعتبر (في مصر بالذات) أن الحديث عن هذه الأمور نوع من التخريف ، دون أن نبذل أدنى جهد للبحث عنه ودراسته!؟

لست أدري!!

ولست أظنني سأدري أبدًا!!

ربما لأنني يئست من تتبُّع الأمر كله ، بعد موت الحاج (حفنى) ، مأسوفًا على شبابه الغض ..

أو ربما لأن قصة عجيبة أخرى قد شغلت انتباهي ..

قصة عجل (البوهي) ..

ولهذا حديث آخر ..

* * *

تابع في الكتاب القادم

كان شديد الاهتمام بمظهره وأناقته هذا الصباح ؛ لأنه
سيلتقى اليوم بالمرأة التي وقع في غرامها ، منذ نصف
العام ، أو أقل قليلاً ..
سكرتيرته (هند) ..

صحيح أنه متزوج منذ خمس سنوات ، وحياته مع زوجته
هادئة مستقرة ، على الرغم من أنهما لم ينجبا قط ، إلا أنه ،
ومنذ أول يوم رأى فيه (هند) ، عندما التحقت بالعمل في
الشركة ، وقع في غرامها فوراً ..

كانت من ذلك الطراز المبهر من النساء ..

أنيقة ، جميلة ، واثقة ، ذات شخصية جذابة آسرة ..

عيناها كانتا من ذلك النوع ، الذي ما إن تتطلع إليه ،
حتى تغوص فيه ، وتغرق في أعماقه حتى النخاع ..

ولقد تطلع إلى عينيها ، في أول يوم دلفت فيه إلى مكتبه ..
ووقع في أسرهما ..

وهو واثق من أنها قد أدركت هذا ، منذ اللحظة الأولى ،
ورأى بنفسه تلك الابتسامة الخبيثة الواثقة ، على طرف
شفتيها الجميلتين ..



(قصة قصيرة)

بالمصادفة ..

يا له من يوم سعيد !

هكذا قال (أنور) لنفسه ، وهو يعقد رباط عنقه زاهى
الألوان فى الصباح ، أمام تلك المرأة الكبيرة فى حجرة
نومه ، ويطلق من بين شفتيه لحنًا مرحًا ، يميز فترة
ستينات القرن العشرين ..

ولكن هذا لم يفت في عضده ..

لقد قرّر أن يبذل كل جهد ممكن لينالها ..

مهما كان الثمن ..

وكرجل ، بدا له أن أقصر طريق إلى هذا هو أن يغمرها
باهتمامه ، وكرمه ، وهداياه ، في كل مناسبة ممكنة ..

ومن ملفها بالشركة ، عرف تاريخ مولدها ، وعنوانها ،
ورقم هاتفها ، و ...

« إلى أين !؟ » ..

ألقت زوجته السؤال في اهتمام ، فانتزعت به عنف من
أفكاره ، وجعلت جسده كله يرتجف ارتجافة سريعة ، قبل أن
يلتفت إليها ، قائلاً في سرعة وتوتر :

- ألم أخبرك أمس !؟

دست كفيها في جيبى معطفها المنزلى ، وهى تتطلع إليه ،
قائلة :

- آه .. اجتماع فرع الشركة فى (أسوان) .

ربّت على رباط عنقه ، والنقط سترته ، وهو يقول :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٠٣

- إنه اجتماع مهم جداً ، وسيتحدّد فيه مصير الشركة
هناك ، وحضورى أمر لا بديل عنه .

أومات برأسها متفهمة ، ومغممة :

- لقد أخبرتنى هذا بالفعل .

تصوّر أنها ستكتفى بهذا القول ، ولكنها استدركت فى
سرعة :

- هل ستسافرون بالقطار أم بالطائرة !؟

أجابها فى سرعة أيضاً :

- بالطائرة .. نائب مدير الشركة ينتظرنى بتذكرتها فى المطار .
غمغت :

- نظام جيد .

غمغم بدوره :

- بالتأكيد .

ألقي نظرة حذرة عليها فى المرآة ، وأدرك من ابتسامتها
أنها لا تشك فيما قاله ، وعلى الرغم من هذا فقد لمح فى
ابتسامتها نفسها شيئاً لم يرتح إليه ..

على الإطلاق ..

ولكن لا ينبغي أن يقلقه هذا ..

لقد أعد لكل شيء عدته بمنتهى الدقة ..

حتى رفاقه في العمل يتصورون أنه سيسافر بالطائرة

إلى (أسوان) بالفعل ..

(هند) وحدها تعلم أنه سيسافر ليقضى يومه هناك ،

في (الإسكندرية) ..

هذا لأنها سترافقه في رحلته هذه ..

إنها تنتظره في النادي ، وسيلتقطها من هناك ، وتحملها

سيارة استأجرها سراً ، إلى (الإسكندرية) مباشرة ..

وبالتحديد إلى المنتزة ..

ومن المؤكد أنها ستكون رحلة من أجمل رحلات حياته كلها ..

يوم كامل ، بصحبة أجمل مخلوقة عرفها في حياته ..

(هند) ..

وهو يعلم أنه بهذا يخون زوجته ..

يخونها مع سبق الإصرار والترصد ..

ولكن ماذا في هذا !؟

كل الرجال يفعلونها ..

كل الرجال يسعون لإقامة علاقات مع نساء أخريات ،

بخلاف زوجاتهم ..

وهو واحد من هؤلاء الرجال ..

لهذا منحهم الله ، من دون النساء ، حق الزواج بمثنى ،

وثلاث ، ورباع .

وما ملكت أيمانهم أيضاً ..

هذا ما أفتع به نفسه ، وهو يودع زوجته ، وينطلق كالطير ،

في تلك السيارة المستأجرة ! ليلتقى بمحبوبته (هند) ..

ويا له من لقاء ..

كانت كالبدر في تمامه ، وهي تجلس إلى جواره ، وتمنحه

واحدة من ابتساماتها المتألقة الساحرة ، قبل أن ينطلق بها ،

في طريقهما إلى (المنتزة) في (الإسكندرية) ..

وطوال الطريق ، تعانقت أصابع كفيهما ، وهي تتحدث

بحماسة طوال الوقت ..

كان طموحها ضخماً ، إلى حد مدهش ..

ولقد قرّر أن يبيع قطعة الأرض ، التي ورثها عن والده
في (المنيا) ، ليحقّق لها كل طموحاتها ، ويربح قلبها
الدافئ ، وجمالها الفتان .

سيبتاع لها شقة المهندسين ، التي تحلم بها ، وتلك السيارة
الفاخرة ، والحلى ، وشاليه الساحل الشمالى ، و ... ، و ...
ولكن هل ستكفى أرضه ، لشراء كل هذا ؟!

كان الخاطر يزعجه ، لذا فقد ألقاه خلف ظهره ، وحاول
أن ينساه ، وهو يسبح فى بحر الغرام ، وأصابه تعانق
كفها فى حب ولهفة ..

ومع مدخل (الإسكندرية) ، اكتسب الهواء رائحة لطيفة
محبّبة ..

رائحة اليود ، والملح ..

والحب ..

وفى ذهنه ، راح يضع سيناريو ذلك اليوم ، الذى حلم به
طويلاً ..

سيزيل حاجز فارق العمر ، بين سنه وسنها ، وسيلهوان

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٠٧

ويمرحان معاً ، فى حدائق المنتزه ، ويتناولان طعامهما
فى فندقها الشهير ..

ظل يرتب أحلامه وأمنيّاته ، حتى بلغا المنتزه بالفعل ..

وانطلق معها ، كما لم يفعل فى حياته كلها ..

لعباً ، ولهوا ، وجريا ، وضحكا لساعات وساعات ..

ولم تكن (هند) أبداً أجمل مما كانت عليه ، فى ذلك اليوم .

كانت ساحرة ..

إلى أقصى حد ..

وفى النهاية ، ومع منتصف النهار ، أطلقت ضحكة عابثة
طويلة ، قبل أن تقول :

- إننى أموت جوعاً .

هتف فى حماسة :

- وأنا أيضاً .

اتجهوا بالسيارة المستأجرة إلى مطعم فاخر قريب ، وبينما
هو يوقف السيارة أمامه ، أشارت هى فى عبث إلى رجل وامرأة ،
يلهوان مثلئيهما ، بالقرب من المطعم ، وقالت فى خبث :

- يبدو أن الكل يشتعل حباً هنا .

طبع قبلة على كفها ، وهو يغادر السيارة معها ، وتشابكت أصابعهما مرة أخرى ، وهما يتجهان إلى المطعم ، ولكن الرجل والمرأة اندفعا نحوهما ، وهما يطلقان ضحكات عابثة عالية ، ثم ارتطمت المرأة به فجأة ، و ...

وانتفض جسده كله في عنف ، وهو يحدق في وجهها ، في حين اتسعت عيناها هي عن آخرهما ، في زعر بلا حدود ، وانطلقت من حلقها شهقة رعب ذاهلة ، وهي تصرخ :

- أنت !؟

وبكل ذهوله وذعره ، صرخ :

- (كوثر) !؟

وعجزت ساقاه عن حمله من هول المأجأة ، فوجد نفسه يسقط عند قدمي (هند) وأقدام الرجل والمرأة العابثين ..

فقد كانت تلك المرأة هي آخر شخص يتوقع رؤيته في (الإسكندرية) .. كانت زوجته ، التي تتوقع وجوده هناك ..

في (أسوان) ..

قصة العدد

الجرثومة



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت. ٢٨٦٦١٥٧ - ٢٨٦٦١٥٧ - ٢٨٦٦١٥٧
ناقص : ٢٨٦٧٠٠٢

- ولماذا يقلقتنى؟!؟

قال (أشرف) فى حدة :

- لأن حياة إنسان تعتمد على وصولنا إليه بالسرعة المناسبة .

أجابه بلا مبالاة أكثر :

- وماذا بيدنا لنفعله؟!؟

انعقد حاجبا (أشرف) فى عصبية متوترة ، وهو يقول :

- لست أدرى .

ثم استدرك فى صرامة :

- ولكن ينبغى أن نحاول .

توقف السائق فى إشارة مزدحمة ، وعاد يطلق سارينة السيارة بأقصى قوتها ، دون أن يبالي به أحد ، فقال فى سخرية :

- مع هؤلاء؟!؟

مطّ (أشرف) شفّتيه ، وأشاح بوجهه فى تذمّر ، فابتسم

السائق فى تعاطف ، قائلاً :

١ - حادث عجيب ..

ارتفع صوت سارينة سيارة الإسعاف ، وهى تشق شوارع (القاهرة) المزدحمة فى صعوبة ، وراح الطبيب المصاحب لها يزفر فى توتر ، وهو يلوح بيده ، قائلاً فى عصبية شديدة :

- أمر غير محتمل ! لا بد أن يجدوا حلاً لهذه المشكلة السخيفة .. ليس من المنطقى أن تخرج سيارة إسعاف ، المفترض فيها أن تسعف مريضاً فى حالة حرجة عاجلة ، فتخوض كل هذا الزحام العشوائى ، قبل أن تصل إليه ! لماذا لا يستخدمون الطائرات الهليكوبتر ، كما تفعل الدول المتحضرة .

لوح سائق سيارة الإسعاف بيده ، وهو يقول فى سخرية :

- ربما لأننا لسنا دولة متحضرة .

التفت إليه الدكتور أشرف ، بحركة حادة ، وهو يقول :

- تبدو وكأن الأمر لا يقلقك أبداً .

هزّ السائق كتفيه فى لامبالاة ، قائلاً :

- الواقع أنك شخص مختلف عما ألفناه يا دكتور (أشرف) ،
فأنت تولى كل أمر عناية فائقة .

غمغم (أشرف) :

- هذا ما ينبغي أن يفعله كل إنسان شريف ، يراعى
ضميره ، ويراعى الله (سبحانه وتعالى) .

قال السائق فى احترام :

- بالتأكيد .. أنت على حق تماماً ولكن يبدو أن الزمن
والتطور قد أفسدا فطرة الناس ، فلم يعودوا كما كانوا .. هل
تعلم أنك أول طبيب يرافق سيارة الإسعاف ، منذ زمن طويل؟!
إنهم يعتمدون على المسعفين فحسب .

اعتدل (أشرف) فى مجلسه ، عندما بدأت السيارات
تتحرك ، وقال فى حزم :

- ما تعلمناه يقول : إن هذا خطأ .

هزَّ السائق رأسه قائلاً فى استسلام :

- بالتأكيد .

توقفت السيارات مرة أخرى ، قبل أن تتجاوز سيارة الإسعاف

الإشارة ، التى استعادت بسرعة ضوء مصباحها الأحمر ،
فزفر (أشرف) بضجر وغضب ، وهو يسأل :

- موقع البناء الذى نقصده خلف ذلك المبنى هناك ..
أليس كذلك!؟

أوما السائق برأسه ، مغممًا :

- بلى .

لم يكذ ينطقها ، حتى التقط الدكتور (أشرف) حقيبتَه ،
وقفز خارج السيارة ، قائلاً :

- عظيم .. الحق بى هناك إذن ، بعد أن تنفرج الأزمة .
هتف السائق فى دهشة :

- ولكن ..

ولم تكتمل كلمته ، مع اختفاء (أشرف) وسط الزحام ،
فابتسم ، وهزَّ رأسه ، متممًا :

- ياله من مقاتل :

أما (أشرف) ، فقد راح يسير بسرعة أشبه بالعدو ،
حتى بلغ موقع البناء ، ولمح فريقًا من العاملين يلتف حول
بقعة ما ، فاتجه نحوها مباشرة ، وهو يقول فى حزم :

- أفسحوا الطريق .. أنا الطبيب .. هيا .

تراجع الرجال في سرعة ، وأفسحوا له الطريق ، فاندفع بكل اهتمامه وحماسه ، نحو عامل ملقى أرضاً ، وجسده يرتعد وينتفض في قوة ، على نحو عجيب ، واتحنى ليبدأ فحصه ، وهو يسأل :

- ماذا حدث بالضبط .

أتاه الجواب على لسان أحد مهندسي الموقع ، وهو يقول في توتر شديد :

- لست أدري .. لقد كان يعمل مع زملائه ، وكل شيء يسير على مايرام ، عندما سمعنا صوت شيء يشقّ الهواء ، ثم رأيناه يصرخ ، ثم يسقط أرضاً كالصخرة ، وهو يمسك عنقه .

انعقد حاجبا (أشرف) وهو يفحص العامل في سرعة ، قائلاً :

- ما الذي تعنيه بصوت شيء يشقّ الهواء !؟

تردد المهندس ، وبدا عليه مزيج من القلق والحرج ، فاندفع أحد العمال يجيب في انفعال شديد :

- رصاصة .. لقد سمعنا صوت رصاصة .

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١١٥

التفت إليه الدكتور (أشرف) في دهشة ، قائلاً :

- رصاصة !؟

هزّ المهندس رأسه في قوة ، قبل أن يقول في حدة :

- مجرد تخمين .. لا أحد يمكنه الجزم بشيء كهذا .

اندفع العامل نفسه ، يقول في إصرار :

- إنها رصاصة .. لا يمكن أن أخطئ تمييزها .. إنني أسمعها

منذ طفولتي ، في بلدتنا بالصعيد .

صاح به المهندس في عصبية :

- إنا لم نسمع دويًا ، ولم نر حتى وهجها .

قال العامل بعناد :

- ربما أطلقت من بعيد .

انعقد حاجبا (أشرف) ، وهو يفحص عنق العامل المصاب ،

بكل دقة واهتمام ، وقال في قلق :

- قلتم : إنه كان يمسك عنقه ، قبل أن يسقط .

هتف أحدهم :

عقب سماعنا صوت الرصاصة ، أمسك عنقه ، وأطلق صرخة ألم ، ثم سقط دفعة واحدة .

أخرج (أشرف) من حقيبتة محقنا ، وهو يقول :

- ثم راح ينتفض بهذه القوة .. أليس كذلك !؟

هزَّ المهندس رأسه نفياً وقال :

- كلاً .. هذه الانتفاضة بدأت منذ ربع الساعة فحسب .

توقفت يد (أشرف) ، قبل أن يخرج المحقن من غلافه

الواقى ، وقال فى دهشة :

- منذ ربع الساعة !؟

كان الموقف كله يحيرُه تماما ، فقد راجع فى ذهنه كل الأعراض ، التى يمكن أن ترتبط بالإصابة بطلق نارى ، ولكنها لم تكن تنطبق أبداً على الحالة التى أمامه ..

فباستثناء تلك الارتجافة العنيفة ، التى تشمل جسد العامل كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، لم تكن هناك أية ظواهر أخرى واضحة ..

لا تغير فى ضغط الدم أو سرعة النبض ، ولا ارتفاع فى درجة الحرارة ، أو معدل التنفس ، أو إفرازات عرق زائدة ..



أخرج (أشرف) من حقيبتة محقنا ، وهو يقول :
- ثم راح ينتفض بهذه القوة .. أليس كذلك !؟

بل ولا يوجد أى أثر للإصابة بطلق نارى أو سواه ..
على الأقل فى الأجزاء الواضحة من الجسد ..
وبالذات العنق ، الذى أمسك به الرجل قبل سقوطه ..
ولا توجد آثار دماء ، فى أى جزء من جسده ..
فقط تلك الانتفاضة العجيبة ، غير المفهومة ..
ومن بعيد ، سمع صوت سارينة سيارة الإسعاف ، التى
وجدت أخيراً طريقها إلى الموقع ..
وامتلأت نفسه بحيرة شديدة فلأول مرة فى حياته ، يعجز
عن تشخيص حالة طارئة أمامه ..
ولأول مرة ، يجد نفسه عاجزاً عن اتخاذ القرار ..
حتى قرار العلاج الطارئ ..
فبالنسبة إليه ، كانت تلك الحالة التى أمامه ، أشبه
باللغز ..

لغز غامض عجيب ..

لللغاية ..

« إنها حالة تفاعل بيروجينى .. » .

نطق الدكتور (عبد الحميد) الكلمة فى شىء من الحذر ،
بعد أن انتهى من فحص العامل ، فى مستشفى الطوارئ ،
فهزَّ الدكتور (أشرف) رأسه نفيًا فى قوة ، قائلاً :

- مستحيل ! حالات التفاعل البيروجينية تنشأ فى وجود
أجسام غريبة فى مجرى الدم ، وفى هذه الحالة يحدث انخفاض
ملحوظ فى ضغط الدم ، ويتسارع معدّل النبض ، وهذا غير
موجود فى الحالة التى لدينا هنا .

مطَّ الدكتور (عبد الحميد) شفّتيه ، وقلب كفيه فى
شىء من الحيرة ، وهو يقول :

- لا يوجد تفسير آخر .. لقد فحصنا المخ ، وقمنا بعمل
رسم للعضلات ، وحقنا الرجل بجرعة مناسبة من عقار
(الفاليوم) المهدئ ، وكل هذا لم يسفر عن شىء .

تطلّع (أشرف) إلى العامل ، الذى مازال جسده ينتفض ،
وتساعل فى قلق :

- ألا يحتمل أن يكون هذا مرضاً جديداً ، لم نعهده من

قبل !؟

سأله الدكتور (عبد الحميد) :

- وماذا عن صوت الرصاصة ، الذى تحدثوا عنه ، قبل سقوط الرجل !؟

تردد (أشرف) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حذر :
- ربما هى مجرد مصادفة .

ابتسم الدكتور (عبد الحميد) وربت على كتفه ، قائلاً :

- تفسير مريح للأعصاب ، ولكنه ليس منطقيًا أبدًا ..
حاول ألا تلجأ إلى ما ينهى المشكلة فى أعماقك ، إلا عندما تعجز كل السبل عن إنهاؤها فعليًا .

انعقد حاجبا (أشرف) ، وراح يهضم عبارة أستاذه فى ذهنه ، وشعر بشيء من الخجل من نفسه ، وهو يقول ، فى شيء من العصبية :

- ولكننى أعدت فحصه بمنتهى الدقة ، ولم أجد أثرًا لأية إصابة حديثة .

قال الدكتور (عبد الحميد) فى هدوء حازم :

- أعده مرة ثالثة .

ثم اعتدل ، مستطرذا :

- أما الآن ، فسنفترض أنها حالة تفاعل بيروجينى ، وسنحقق الرجل بعقار الكورتيزون مع جرعة من مضادات الحساسية ، وسنعتبر كل هذا اختبارًا علاجيًا .

غمغم (أشرف) :

- فليكن .

ترك طاقم التمريض ينفذ العلاج المنشود ، بعد انصراف الدكتور (عبد الحميد) ، وتراجع هو ليجلس على مقعد كبير ، فى آخر الحجرة ، وعقله يعيد دراسة الأمر كله مرة أخرى ..

لقد كان الدكتور (عبد الحميد) على حق ، عندما أشار إلى أنه قد حاول إراحة ذهنه ، بافتراض أن الرصاصة ، التى سمعها الجميع ، فى موقع البناء ، كانت مجرد مصادفة ..

فليكن .. سيعيد الافتراض بأنه هناك رصاصة بالفعل ..

أو شيء ما على الأقل ..

شيء اخترق الهواء بسرعة كبيرة ، أعطت انطباع الرصاصة ، قبل أن يرتطم بعنق العامل ليصيبه بكل هذا ..

ارتطم بعنقه ..

بعنقه ..

ترددت الكلمة في ذهنه عدة مرات ، على نحو جعله يهبطاً
من مقعده ، ويندفع مغادراً الحجرة ، وهو يهتف في أعماقه ..

نعم .. عنقه ..

فقط عنقه ..

إنه ليس بحاجة لإعادة فحص جسده كله ..

فقط العنق ..

افتحم حجرة مكتبه في انفعال ، والتقط من درج مكتبه عدسة
مكبّرة ضخمة ، أسرع عائداً بها إلى حجرة الطوارئ ، ثم
جذب مقعداً ، وجلس إلى جوار جسد العامل ، وراح يفحص
جانبى عنقه بعدسته المكبّرة ، وسط دهشة طاقم التمريض .

كان يفحص كل سنتيمتر في عنق الرجل ، بمنتهى الدقة
والعناية ، ولكن كل شيء بدا طبيعياً ، و ...

مهلاً ... هناك شيء ما ، عند الجانب الأيسر من العنق ..

فوق الوريد العنقى تماماً ..

نقطة صغيرة ..

صغيرة جداً ..

تُرى هل ...

لم ينتظر حتى يكتمل تساؤله في أعماقه ، وإنما هباً من
مكانه ، وقال لطاقم التمريض ، بلهجة عصبية أمرّة :

- أريد نقل هذا المريض إلى حجرة الميكروسكوب الجراحي
فوراً .

هتفت الممرضة في انزعاج :

- فوراً؟!!

أجابها في صرامة ينقصها الصبر :

- نعم فوراً .. خذي عشرة سنتيمترات من دمه ، وأرسلها
للمعمل ، وأخبريهم أنني أريد تحليلاً كاملاً شاملاً .. كل شيء
بلا استثناء ، ثم انقلوه فوراً إلى حجرة الميكروسكوب
الجراحي .. وأكرّر .. فوراً .

اندفع بكل انفعاله وحماسه إلى حجرة الميكروسكوب الجراحي ،
وقام باستدعاء الفنى الذى وصل بعد دقائق خمس ، وهو
يقول فى انزعاج :

- ماذا حدث؟! هل توجد عمليات جراحة ميكروسكوبية للطوارئ؟!

أجابته (أشرف) فى صرامة :

- اصمت وقم بعملك فحسب يارجل .

همهم الفنى بكلمات متبرمة ، وهو يعدّ الميكروسكوب الجراحى للعمل ، فى نفس الوقت الذى وصلت فيه الممرضة ، مع عامل يدفع سرير المصاب ، فأشار إليها (أشرف) ، قائلاً بنفس الانفعال ، الذى يأبى أن يفارقه :

- ضعاه هنا .

لم يكن يطيق صبراً على فحص عنق الرجل ، بعد أن عثر فيه على تلك النقطة الصغيرة جداً ، والتي بدت تحت عدسات الميكروسكوب الجراحى أشبه بفجوة مستديرة فى جلد العنق ، تمتد إلى الوريد العنقى مباشرة ، لها أطراف محترقة إلى حد ما ، وقد تجمد الدم فوقها مؤخراً ..

إذن فهذا صحيح ..

لقد اخترق عنقه شئ ما ..

شئ صغير جداً .

تقريباً فى حجم جرثومة (*) ..

اعتدل فى مجلسه ، وراح قلبه يخفق فى قوة ، من فرط الانفعال ، بعد أن توصل إلى ما رآه بعينه ، تحت الميكروسكوب الجراحى ..

وبلا وعى ، وجد نفسه يهتف :

- الدكتور (عبد الحميد) .. أين الدكتور (عبد الحميد)؟!

أجابته الممرضة فى حيرة :

- إنه يفحص مرضاه ، فى قسم الأمراض الباطنية .

هتف فى حماسة :

- لا بد أن يرى هذا .. لا بد أن يرى ما حدث .

صاحت الممرضة بدورها :

- رباه ! هذا صحيح .. لقد توقّف جسده عن الانتفاض .

ارتجّ جسده كله من المفاجأة ، وحدّق فى جسد العامل المصاب فى دهشة ..

(*) الجراثيم : كائنات حية دقيقة ، من الطبقة السفلى ، فى مملكتى الحيوان والنبات ، تسبب أمراضاً نتيجة لتطفلها ، كالبكتريا ، والفيروسات ، والفطر السقمى فى مملكة النبات ، وكالحيوانات الأولية (البروتوزوا) ، فى مملكة الحيوان ، ويدخل تحت الجراثيم أيضاً خلايا التناسل ، فى الذكر والأنثى ، وكذلك بذور النبات ، أو ما تحمله من أجنة ، كجرثومة القمح .

لقد توقفت انتفاضة جسده بالفعل ..

كيف لم ينتبه إلى هذا !؟

إنه لم يكن ليتمكن تحت الميكروسكوب الجراحي ، لو أن جسده يواصل تلك الانتفاضة العنيفة ..

وهذا يعنى أن انتفاضته قد تلاشت منذ فترة ..

منذ بدأ الكورتيزون ومضادات الحساسية عملهما ..

تفاعلت كل المعلومات فى ذهنه ، وتصارعت ، والتهبت ،

فهتف ، وهو يعدو لمغادرة المكان :

- سأحضر الدكتور (عبد الحميد) ليرى هذا .

انطلق يعدو عبر الممر الطويل ، الممتد من حجرة الميكروسكوب الجراحي ، وهو يحاول تقييم الموقف مرة أخرى ، على ضوء المعطيات الجديدة ، و ...

وفجأة ، اخترقت أذنه صرخة قوية مذعورة ..

صرخة حملت صوت الممرضة ، ثم أعقبها صرخات متواصلة ، جعلته يستدير ، ويعدو عائداً إلى حجرة الميكروسكوب الجراحي ، مع كومة ممن جذبتهم تلك الصرخة القوية ، حتى إنه اضطر لشق طريقه بينهم فى صرامة ، قبل أن يندفع داخل الحجرة ..

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٢٧

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فيما رآه هناك ..

لقد كانت الممرضة ملتصقة بالجدار ، تواصل صرخاتها المذعورة ، وإلى جوارها ذلك العامل الذى شاركها نقل المصاب ، فى حين كان فى الميكروسكوب الجراحي ملقى أرضاً وقد أمسك عنقه ، واتسعت عيناه على نحو مذعور .. وبكل انفعاله ، صاح (أشرف) فى الممرضة :

- ماذا حدث !؟ ماذا حدث !؟

حدقت فى وجهه لحظة بذعر ، فأمسك كتفها ، ورجها فى قوة ، وكأنما ينتزعها من غيبوبة عميقة ، وهو يصرخ فى وجهها مرة أخرى :



- أخبريني ماذا حدث!؟

انتفض جسدها في عنف ، وصرخت :

- لست أدري .. لقد سمعنا صوت رصاصة ، ثم رأيناها
يصرخ في ألم ويمسك عنقه ، ثم يسقط هكذا .

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدث فيها ، ثم
يستدير ليحدث في الفنى فى ذهول مذعور ..

رصاصة ..

وصرخة ..

وسقوط ..

ها هو ذا اللغز يعود من جديد ..

وأكثر عنفاً وغموضاً ..

بكثير .

٢- اللغز ..

هز الدكتور (عبد الحميد) رأسه فى حيرة ، وهو يتطلع
إلى فنى المعمل ، الراقد على فراش الطوارئ ، وجسده
ينتفض فى عنف ، وغمغم :

- عجباً !

أشار إليه (أشرف) ، قائلاً فى انفعال :

- نفس ما حدث للعامل سابقاً .. صوت رصاصة يسمعه
الكل ، ثم يمسك عنقه ، ويصرخ ألماً ، ويسقط فاقد الوعي ،
وبعد ربع الساعة أو يزيد ، تبدأ تلك الانتفاضة العجيبة ،
التي تشمل جسده كله ، دون أن ينخفض ضغط دمه ،
أو يعانى تغيرات فى النبض أو معدلات التنفس .. أمر
يتعارض تماماً مع كل القواعد الطبية المعروفة .

أجابه الدكتور (عبد الحميد) فى حزم :

- ولكنه يمثل مجموعة جديدة من الأعراض ، لا بد أن نعمل
على تسجيلها وتقييمها ، باعتبارها إشارة إلى حالة جديدة ،
لم نعرفها مراجع الطب من قبل .

سأله (أشرف) فى عصبية :

- وماذا عن صوت الرصاصة !؟

هزَّ الرجل رأسه مرة أخرى ، مغمغماً بنفس الحيرة :

- من يدري !؟

عضَّ (أشرف) شفتيه فى توتر ، وقال :

- على كل حال .. أقترح أن نسير على الوتيرة العلاجية نفسها ، مع هذه الحالة أيضاً .. سنحقنه بالكورتيزون ومضادات الحساسية ، ثم نفحص عنقه ، تحت الميكروسكوب الجراحى .. فربما ..

قاطعته الدكتور (عبد الحميد) فى حزم :

- كلاً .. سنحصل على عينة دمه أولاً ، قبل أن نضيف إليه أية عقاقير طبية .

قال (أشرف) فى حماسة :

- بالمناسبة ! هل انتهى المعمل من إعداد تقرير فحص عينة دماء العامل !؟

أشار الدكتور (عبد الحميد) بسبابته نفيًا ، وقال :

- ليس بعد .. لقد طلبت منهم فحصًا شاملاً تامًا ، وهذا يستغرق بعض الوقت ، و ...

قاطعته وصول الممرضة ، فى تلك اللحظة ، وهى تقول فى انفعال :

- لقد استيقظ .

التفت إليها الاثنان فى آن واحد ، وسألها (أشرف) :

- ماذا تقولين !؟

بدت شديدة الانفعال ، وهى تهتف :

- العامل المصاب .. لقد استعاد وعيه .. تمامًا .

لم تمض دقيقة واحدة ، على قولها هذا ، حتى كان الاثنان فى حجرة العامل ، الذى بدا شاحبًا مرهقًا ، وهو ينقل بصره بينهما ، متسائلًا فى قلق ، يحمل لمحة من الخوف والتوتر :

- إين أنا !؟ ماذا حدث لى !؟

سأله الدكتور (عبد الحميد) فى اهتمام :

- ألا تذكر ما حدث !؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وأشار بيده فى ضعف ، مجيبًا :

- أذكر أنني سمعت صوتًا أشبه بالرصاصية ، ثم شعرت
بألم شديد في عنقي ، وبقلبي يخفق في عنف ، وبعدها
استعدت وعيي ، لأجد نفسي هنا ، و ...

توقف فجأة ، واتسعت عيناه في ألم ، وصرخ :

- لا .. ليس ثانية .

هتف به (أشرف) :

- ماذا حدث !؟

أجابه الرجل ، في ألم شديد :

- تلك التقلصات المؤلمة ، في عضلات الساقين .. إنها
تحدث كل عشر دقائق تقريبًا .

انعقد حاجبا الدكتور (عبد الحميد) ، و (أشرف)
يفحص الرجل في اهتمام ، قبل أن يقول الأخير :

- إنها حالة نقص بوتاسيوم على الأرجح .

سأل الدكتور (عبد الحميد) : تعامل :

- قل لي يا رجل .. هل تعاني ارتفاعًا في ضغط الدم !؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا وهو يقول في ألم :

- كلاً .

سأله باهتمام أكثر :

- ألا تتناول مدرات البول لسبب أو آخر ؟

هتف الرجل بألم شديد :

- مطلقًا .. لست أتناول أية أدوية أو عقاقير طبية .

قال (أشرف) مكرراً في حزم :

- إنها حالة نقص حاد في البوتاسيوم ..

غمغم الدكتور (عبد الحميد) :

- بالتأكيد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- ولكن من الواضح أنه لم يكن يعاني منها ، قبل أن
يصيبه ما أصابه ، في موقع العمل .

التقط التذكرة الطبية للعامل ، وخطَّ عليها العلاج اللازم ،
وطلب من الممرضة تنفيذه فوراً ، ثم أشار إلى (أشرف) ،
قائلاً :

- هيا .. أظن أنه من الضروري أن نبدأ في فحص فنى
الميكروسكوب الجراحى .

سأله (أشرف) ، وهو يسير إلى جواره فى سرعة :

- أديك تفسير محدود!؟

مطَّ الدكتور (عبد الحميد) رأسه نفيًا ، وقال :

- بل لدى مخاوف غير محدودة .

لم يحاول تفسير عبارته ..

ولم يحاول (أشرف) أن يسأله ..

لقد لاذ كلاهما بصمت عجيب ، وهما يحقن الفنى بالعقاقير
الطبية ، وينقلانه بمعاونة الممرضة إلى حجرة الميكروسكوب
الجراحى ..

ومع تلاشى انتفاضته ، بدءا فى فحص عنقه ..

وبانفعال شديد ، هتف (أشرف) :

- انظر يا دكتور (عبد الحميد) .. هناك ، عند الوريد

العنقى تمامًا ..

انظر .

انعقد حاجبا الدكتور (عبد الحميد) بشدة ، وهو يحدق ،
عبر عدسات الميكروسكوب الجراحى ، فى تلك الفجوة
الصغيرة ، ذات الأطراف شبه المحترقة ، التى تغطيها دماء
تجمدت حديثًا ، ثم لم يلبث أن تراجع ، وبدا أشبه برجل
يحمل هموم الدنيا كلها ، وهو مستغرق فى تفكير عميق ،
قبل أن يقول فى حزم :

- (أشرف) .. أظننا نحتاج إلى مساعدة متخصصة .

سأله (أشرف) فى قلق حائر :

- ماذا تعنى يا دكتور (عبد الحميد)!؟

التقط الرجل من جيبه قلمًا وورقة ، وراح يخط رقم
هاتف ، وهو يجيب :

- إننا نحتاج إلى شخص متخصص فى علم الجراثيم .. ولست
أجد فى ذهنى من هو أفضل من الدكتورة (زينب مختار) ..
هاهوذا رقم هاتفها .. اتصل بها فورًا ، وأخبرها أننا بصدد
كشف جرثومة من نوع جديد ، وستجدها هنا ، خلال أقل
من ساعة واحدة .

ناوله رقم الهاتف ، فقال (أشرف) فى حماسة :

- سأتصل بها فورًا .

جلس على المكتب الصغير ، فى ركن الحجرة ، والتقط سماعة الهاتف ، وضغط أزرار الرقم ، و ...
وفجأة اخترق أذنيه صوت رصاصة ..

رصاصة عبرت هواء الحجرة ، دون دوى أو وهج ..
فقط صوت اختراقها للهواء ..

وبحركة آلية مذعورة ، رفع عينيه إلى حيث يجلس الدكتور (عبد الحميد) ..
وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يطلق شهقة رعب قوية ..

فعلى عكس الحالتين السابقتين ، لم يطلق الدكتور (عبد الحميد) صرخة واحدة ..
فقط أمسك عنقه فى ألم ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى ذعر ..

ثم سقط فاقد الوعي ، ليعن مولد ضحية جديدة ..
ضحية للجرثومة ..

الغامضة ..

لم تكذ الدكتورة (زينب مختار) توقف سيارتها ، فى ساحة المستشفى ، بعد سبع وثلاثين دقيقة بالتحديد ، من مكالمة (أشرف) ، حتى هرع إليها هذا الأخير ، بوجه شاحب ممتقع ، وهو يقول :

- أسرعى يا دكتورة (زينب) .. أسرعى بالله عليك .

أجابته فى هدوء عجيب لا يتناسب مع لهفتها لمعرفة ما يحدث :

- إتنى أسرع بالفعل ، منذ تلقيت مكالمتك .. أخبرنى .. كيف حال الدكتور (عبد الحميد) الآن !؟

أجابها ، وهو يسرع إلى جوارها ، إلى قسم الطوارئ :

- نفس الأعراض ، التى نكرتها لك هاتفياً .. فقدان الوعي ، ثم ظهور تلك الانتفاضة العجيبة .

سألته :

- وماذا عن فنى الميكروسكوب الجراحى !؟

أجابها بحيرة يائسة :

- استعاد وعيه ، بعد عشرين دقيقة تقريباً ، من سقوط

الدكتور (عبد الحميد) ، وهو يعاني أيضاً نقصاً حاداً ، في نسبة البوتاسيوم في الدم .

غمغت ، وهي تحت الخطى أكثر :

- عجباً !

وانعقد حاجباها بضع لحظات ، في تفكير عميق ، قبل أن تقول في حزم :

- وماذا عن تحاليل الدم للحالتين السابقتين !؟

كانا قد بلغا حجرة الدكتور (عبد الحميد) ، عندما أجابها :

- بالنسبة للعامل كان كل شيء طبيعياً ، باستثناء وجود نسبة عجيبة من الأوزون في الدم ، ونقص حاد في نسبة البوتاسيوم ، أما بالنسبة للفنى ، فقد كانت هناك نسبة أقل من الأوزون ، مع نقص محدود في نسبة البوتاسيوم ، وهذا في العينة التي أخذت منه ، قبل حقنه بالكورتيزون ومضادات الحساسية ، أما العينة التي تلت استعادته لوعيه ، فلم يتم إعداد التقرير الخاص بها بعد .

توقفت تلقى نظرة على جسد الدكتور (عبد الحميد) ، الذي ينتفض في قوة ، قبل أن تردّد ، وكأنها تتحدّث إلى نفسها :



وانعقد حاجباها بضع لحظات ، في تفكير عميق ، قبل أن تقول في حزم :

- وماذا عن تحاليل الدم للحالتين السابقتين !؟

نسبة غير منطقية من الأوزون ، ونقص حاد في البوتاسيوم !!

- .. ترى ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أدرك (أشرف) أنها توجه السؤال لنفسها ، لذا فلم يحاول إجابته ، وتركها تستغرق فى التفكير وحدها طويلاً ، قبل أن تقول فى حزم :

- هل حصلت على عينة من دمه لفحصها ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالتأكيد .

قالت بحزم أكبر :

- عظيم .. أريد منكم أن تعطوه العقاقير الطبية نفسها ، ولكن ليس الآن .

سألها فى حيرة :

- لماذا ؟!

أجابته فى حزم شديد :

- لا بد من اتخاذ بعض الإجراءات أولاً .

ثم التفتت إليه ، تسأله :

- أين حجرة مدير المستشفى ؟!

كان من الواضح أنها تمتلك شخصية قوية مسيطرة ، وأنها تعرف ما تريده بالضبط ، لذا فقد أجابها (أشرف) فى سرعة :

- فى الطابق الثانى ، ولكنك لن تجديه الآن ، فالساعة تقترب من الحادية عشرة ، وهو ينصرف فى الثامنة .

أجابته فى حزم :

- أرسل فى استدعائه .. أيقظه من نومه لو اقتضى الأمر .. المهم أن يأتى إلى هنا فوراً .. أخبره أننا نتحدث عن كارثة طبية محتملة ، والأمر لا يحتمل أى تأخير .

لم يدر (أشرف) سر قوة هذه الطبية الخبيرة ، إلا أنه لم يكذب يبلغ مدير المستشفى هاتفياً ما قالت ، ويخبره اسمها ، حتى وجده يهرع إلى المستشفى لمقابلتها ، ويصافحها فى احترام بالغ ، وهو يقول فى توتر شديد :

- الدكتور (أشرف) ذكر لفظ (الكارثة الطبية) .. هل لى أن أعلم ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته بلهجتها الواثقة الحازمة :

- يعنى أننا نواجه شيئاً جديداً غامضاً .. جرثومة على الأرجح ، لها صفات لم نعهدها من قبل ، ونتائج انتشارها لا يعلمها ، حتى الآن ، سوى الله (سبحانه وتعالى) ، ولا بد من اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة ، وبمنتهى السرعة .

جف لعاب المدير ، لما سمعه منها ، فقال بارتباك شديد :

- وما المطلوب منى بالضبط ؟!

أجابته فى سرعة ، تشف عن تحديد موقفها المسبق :

- أريد حجرة معزولة تماماً ، ومعملاً متأهباً طوال الأربع والعشرين ساعة ، للقيام بكل ما يُطلب منه ، وأريد أيضاً بعض حيوانات التجارب ، وبعض المرشحات البكتيرية .

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

- هذا يحتاج إلى موافقات عليا ، و ...

قاطعته فى صرامة شديدة :

- فليكن .. اطلب موافقة وزير الصحة ، أو حتى رئيس الوزراء شخصياً .. أخبرهما أن الأمر يتعلق بالأمن القومى .

شهق الرجل ، وهو يكرّر مذعوراً :

- الأمن القومى ؟!

أجابته بصرامة أكثر :

- بالتأكيد .. من أدركنا أنها ليست وسيلة جديدة ، من وسائل الحرب البيولوجية ، يحاول العدو اختبار تأثيرها علينا ؟!

امتقع وجه مدير المستشفى بشدة ، وهو يقول فى اضطراب :

- سأخذ كل الإجراءات اللازمة .

قالت فى حزم واثق :

- بالتأكيد .

ثم اتجهت إلى حجرة الدكتور (عبد الحميد) ، فى خطوات واثقة قوية ، تاركة (أشرف) خلفها مبهوراً ..

وبشدة ..

ولكن من المؤكد أن انبهاره هذا قد بلغ عشرات أضعاف ما كان عليه ، مع ما حدث خلال الساعة التالية ..

فإبلاغ المسئولين أتى ثماره ، على نحو لم يتصوره قط ، أو حتى يتخيل حدوثه ..

ولأن الدكتورة (زينب) قد رفضت تمامًا فكرة نقل الدكتور (عبد الحميد) إلى أي مكان آخر، وأعلنت عدم مسئوليتها عما يمكن أن يؤدي إليه هذا، فقد حضر فريق طبي فني خاص، لتحويل إحدى حجرات المستشفى إلى منطقة معزولة تمامًا، عن طريق إحاطتها داخليًا بخيمة خاصة معقمة من البلاستيك، لها جانب شفاف تمامًا للمراقبة والمتابعة، وتم وضع الدكتور (عبد الحميد) داخلها، وجسده مازال ينتفض في عنف، وبعد توصيل جسده بكل أجهزة الفحص والمراقبة، سمحت الدكتورة (زينب) بحقنه بالكورتيزون، ومضادات الحساسية، ثم طلبت من الكل مغادرة الحجرة تمامًا، فسألها (أشرف) في دهشة:

- ألن نفحص عنقه!؟

أجابته في حزم:

ليس الآن.

سألها في عصبية:

- متى إذن!؟

انعقد حاجباها في صرامة، وهي تقول:

- اصمت، وانتظر.

لأن الجميع بالصمت، وهم يراقبون الدكتور (عبد الحميد)، من خلال الجدار الشفاف للخيمة الواقية، ويتابعون أجهزة الفحص، وإشاراتهما، ومؤشراتها، التي أوحى كلها بوجود اضطرابات عنيفة في أداء العضلات..

ولما طال الصمت، برز صوت قوى صارم، يسأل:

- ما الذي ننتظره بالضبط!؟

لم تجب الدكتورة سؤاله، فأضاف في حدة:

- أريد جوابًا صريحًا.

التفت إليه، تسأله في صرامة:

- ومن أنت بالضبط!؟

وضع بطاقة خاصة أمام وجهها، وهو يجيب بصرامة أكثر:

- العميد (مجدى) .. من الأمن القومي.

هتفت مستنكرة:

- وما شأن الأمن القومي بهذا!؟

أجابها في غلظة:

- أنت جعلت له الشأن الأكبر ، عندما افترضت أنه من المحتمل أن تنتمي تلك الجرثومة الغامضة ، التي تسعين لكشفها ، إلى حرب بيولوجية محتملة ..

انعقد حاجباها في توتر ، وانفجرت شفتاها في عصبية ، على نحو يوحي بأنها ستنفجر في وجهه ، إلا أن نظرتة الصارمة جعلتها تتراجع في سرعة ، قائلة :

- مازال الاحتمال قائما .

قال في صرامة :

- في هذه الحالة ، لا بد أن أفهم ما يحدث .

تهتت في توتر ، وأشارت بيدها إلى الدكتور (عبد الحميد) ، الذي بدأ جسده يهدأ في وضوح ، قائلة :

- إننا أمام حالة عجيبة ، وأعراض لم يسجلها أى مرجع طبي من قبل ، وهي ترتبط بأمور عجيبة ، يصعب تفسيرها ، وفقا للمنهج الطبي المعروف ..

سألها في اهتمام صارم :

- بمعنى !؟

أكملت ، وكأنها لم تسمعه :

- ففي كل مرة ، يرتبط الأمر بصوت أشبه برصاصة تعبر الهواء ، وهذه هي النقطة الأكثر غموضا ، في الأمر كله ، إذ إنه من بين كل وسائل انتقال العدوى ، التي عرفها تاريخ الطب ، لا توجد جرثومة واحدة ، تقفز من جسد إلى آخر ، مخلفة ذلك الصوت القوي ، أو حتى أى صوت آخر .. وانتقال العدوى نفسه أمر غير مفهوم ، إذ أنها تنتقل دوماً إلى شخص واحد فحسب ، ويقترن هذا بشفاء المريض السابق ، الذي يعانى نقصا شديداً في نسبة البوتاسيوم ، مع وجود أوزون مجهول المصدر في دمه .

قال في اهتمام :

- هذا يعنى أننا امام جرثومة جديدة ، لم يرصدها أو يسجلها العلم من قبل .

أشارت بسبابتها ، قائلة :

- بالضبط .. جرثومة أحادية الإصابة .. لا تترك أى دليل على التكاثر أو النمو ، في جسد أية ضحية ، وهي تفارق الجسد ، إذا ما توقفت عضلاته عن الحركة .

سألها في اهتمام أكثر :

- ولماذا هذا في رأيك!؟

ترددت لحظة ، قبل أن تقول في حزم :

- لم أجر الاختبارات اللازمة بعد .. ليس لدى الآن سوى نظرية .

قال في حزم :

- أحب أن أسمعها .

قبل أن تنفرج شفتاها ، لتجيب عبارته ، هتف الدكتور (أشرف) فجأة ، في زعر شديد :

- يا إلهي ! انظروا .

استدار الكل إلى شاشات أجهزة الفحص ، وخفق قلب الدكتورة (زينب) بمنتهى العنف ..

فوفقاً لكل المؤشرات ، كان جسد الدكتور (عبد الحميد) ينهار ..

بمنتهى السرعة ..

والعنف .

* * *

٣ - العدو الخفى ..

ضغط الدم كان ينخفض بسرعة مخيفة ، ومعدلات النبض تتسارع على نحو رهيب ، والعرق يغمر جسد الدكتور (عبد الحميد) ، وكأنما انفتحت مسامه العرقية كلها دفعة واحدة ، دون سبب معروف ..

وبكل زعرها ، هتفت الدكتورة (زينب) :

- مستحيل ! لقد تم حقنه بعقار الكورتيزون .. لا يمكن أن ينخفض ضغط دمه على هذا النحو .

هتف (أشرف) ، وهو يلتقط محققاً في لهفة :

- لا بد من حقنه بالأدرينالين فوراً .

أمسك العميد (مجدى) معصمه في قوة ، قائلاً فى صرامة :

- مهلاً .. لا يمكنك أن تدخل الخيمة الواقية ، دون زى خاص .

أشار (أشرف) إلى أجهزة الفحص ، صائحاً فى حدة :



استل العميد (مجدى) مسدسه ، وهو يقول فى صرامة أكبر :
- عندما يتعلق الأمر بالأمن القومى ، لا قيمة لحياة فرد واحد ..

- لا وقت لهذا .. ألا ترى ما يحدث .. لو تأخرنا دقيقة
أخرى ، سيلقى أستاذى مصرعه هناك .
استل العميد (مجدى) مسدسه ، وهو يقول فى صرامة
أكبر :
- عندما يتعلق الأمر بالأمن القومى ، لا قيمة لحياة فرد
واحد .

هتفت الدكتورة (زينب) :

- هل جننت !؟

صاح بها العميد (مجدى) :

- إننى أقوم بواجبى .

دفعه (أشرف) بيده فجأة ، وهو يصرخ :

- وأنا أيضًا .

قالها ، ووثب نحو الخيمة الواقية ، وجذب سوستة مدخلها
فى عنف ، فأدار العميد (مجدى) فوهة مسدسه نحوه ،
صائحًا :

- فليكن .. أنت أردت هذا .

اندفعت (زينب) نحوه ، وارتطمت به فى قوة ، فسقط

معها أرضًا ، وانطلقت رصاصة مسدسه ، لتخترق جدار
الحجرة ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (أشرف) داخل
الخيمة الواقية ، وكشف ذراع أستاذه ، ليحققه بعقار الأدرينالين ..
وبكل غضبه ، صاح العميد (مجدى) :

- كيف تجرئين !؟

نهضت الدكتورة (زينب) ، قائلة فى عصبية :

- كيف تجرؤ أنت على قتل إنسان ، لأنه يحاول إنقاذ
أستاذه !؟

صاح فى غضب صارم ، وهو ينهض بدوره :

- عندما يتعلّق الأمر بأمن (مصر) لا يمكن أن أخاطر
بانتشار جرثومة كهذه ، مهما كان الثمن .

هتفت فى ضيق :

- وكيف يمكنك أن تحكم على أمر كهذا !؟

وأشارت إلى أجهزة الفحص ، مستطردة فى حدة :

- هل ترى هذا !؟ حفته بالأدرينالين أعاد معدلاته الحيوية
إلى طبيعتها .

هتف غاضبًا :

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٥٣

- وماذا عن العدوى !؟

أدارت عينيها فى حركة سريعة إلى داخل الخيمة الواقية ،
وهى تقول فى توتر :

- نعم .. ماذا عنها ؟

لم تكذ تتمّ عبارتها ، حتى سمع الجميع بغتة ذلك
الصوت ، الشبيه بصوت رصاصة تخترق الهواء ، ثم
صرخ الدكتور (أشرف) فى ألم ، وأمسك عنقه ، قبل أن
يسقط أرضًا ..

وبمنتهى العصبية ، أدارت الدكتورة (زينب) عينيها إلى
العميد (مجدى) مرة أخرى ، قائلة :

- لقد حدثت بالفعل .

وكان من الواضح أن الأمر يزداد غموضًا أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

شعر الدكتور (عبد الحميد) بآلام محدودة فى أطرافه ،
وهو يستعيد وعيه فى بطن ، فتأوه مغمماً :

- ماذا حدث ؟!

أتاه صوت يألفه منذ زمن طويل ، يقول فى حنان :

- حمدًا لله على سلامتكم .

فتح عينيه ، وتطلع إلى وجه الدكتورة (زينب) لحظة ،
قبل أن يتسهم فى إرهاق شديد ، قائلاً :

- أنت ؟! ما أجمل أن يقع بصرى على وجهك ، عندما
أفتح عيني .

ضحكت ضحكة قصيرة ، وضغطت يده فى حنان ، قائلة :
- مازلت كما أنت ، لم تتغير أبدًا .

همس فى تهالك :

- ومازلت أحبك من أعماق قلبى .

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تتطلع إليه فى حنان ، قبل
أن تبعد يدها عن كفه ، وتعتدل فى مجلسها ، قائلة :

- ولكن هذا لم ينفذ زواجنا من الفشل للأسف .

قال فى أسى :

- أنت التى أصررت على الطلاق .

عضت شفتها السفلى ، التى ارتجفت قليلاً ، ثم مالبت
أن قالت فى توتر :

- دعنا من هذا ، وأخبرنى .. ما الذى شعرت به ، بعد
أن اخترقتك تلك الجرثومة .

سألها فى اهتمام مرهق :

هل فعلت ؟!

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت :

- لقد فحصت عنقك بنفسى ، تحت الميكروسكوب
الجراحى .

ثم مالت نحوه ، مستطردة فى اهتمام حائر :

- هل تعلم أنها قد خرجت من جسدك ، من نفس الفتحة
التي دخلت منها ، عند وريدك العنقى ؟!

لوح بيده فى ضعف ، قائلاً :

- أمر مثير للاهتمام بالفعل .

ثم تنهد ، مضيفاً :

- يا إلهي ! كم أشعر بالإرهاق .

قالت في تعاطف :

- أمر طبيعى .. نقص شديد فى البوتاسيوم ، ونسبة عجيبة من الأوزون فى الدم .

سألها فى اهتمام :

- أهو فيروس جديد كما توقعت !؟

هزّت رأسها نفياً ، وقالت :

- بل جرثومة غريبة ، لم يتم رصدها من قبل ، وهى أكبر حجماً من الفيروسات أو البكتيريا المعروفة .

سألها :

- وما سر ذلك التفاعل البيروجينى العنيف ، غير التقليدى ، الذى يحدثه وجودها فى الجسم !؟

هزّت رأسها ، قائلة :

- ليس تفاعلاً بيروجينياً كما تصوّرت ، بل هو استحثاث

مقصود لعضلات الجسم ، حتى تنقبض وترتخى بإيقاع سريع ، يساعد مضخة الصوديوم والبوتاسيوم التبادلية فى الخلايا على العمل بكفاءة أكبر .

سألها فى دهشة :

- بأى هدف !؟

ابتسمت ابتسامة باهتة ، قائلة :

- كان ينبغي أن تستنتج أيها العبقري .

حاول ان يعتدل جالساً ، وهو يقول :

- سرعة إنتاج البوتاسيوم ، الذى تستهلكه الجرثومة بوسيلة ما .

أشارت بسببابتها ، قائلة :

- بالضبط .

ثم هزّت رأسها مرة أخرى ، متابعة :

- أحادية الإصابة هى أكثر شىء يثير اهتمامى ، مع وسيلة انتقالها ، المصحوبة بصوت الرصاصة أيضاً ، فهذا يوحي بأننا أمام جرثومة واحدة ، لا تتكاثر أو تتضاعف ، وهذا أمر لم نقرأ له مثيلاً قط .

جلس على طرف الفراش ، ولهث لحظة ، وكأنما بذل
جهدًا خرافيًا ، قبل أن يسألها :

- بمناسبة أحادية الإصابة .. من يحمل الجرثومة بدلاً

منى الآن ؟!

ازدردت لعابها ، قبل أن تجيب في حذر :

- (أشرف) .

انتفض جسده في عنف ، وهو يهتف في دعر :

- الدكتور (أشرف) .

أومات برأسها إيجابًا ، فوثب من فراشه ، هاتفًا :

- وتركته وحده ! يالك من مستهتره !!

على الرغم من إرهاقه الشديد ، راح يعدو إلى جوارها ،
حتى بلغا حجرة (أشرف) ، الذي يرقد داخل الخيمة الواقية ،

وجسده ينتفض في عنف ، فاستقبلهما العميد (مجدى) في
لهفة ، وهو يسأل الدكتور (عبد الحميد) :

- هل استعدت عافيتك بهذه السرعة ؟!

لم يبد حتى أن الدكتور (عبد الحميد) قد سمعه ، وهو

يتابع المؤشرات والمنحنيات الإليكترونية لكل الأجهزة ،
التي تتصل بجسد (أشرف) ، فالتفت العميد (مجدى)
إلى الدكتورة (زينب) ، قائلاً في توتر :

- أيعنى هذا أن الجرثومة ليست قاتلة ؟!

أجابته في سرعة :

- حتى الآن ، هي ليست كذلك !

سألها في عصبية :

- ماذا تعنين بكلمة حتى الآن هذه ؟!

أجابته في صرامة :

- إننا نواجه جرثومة مجهولة ، تتصرف كما لو أنها
عدو بالغ الذكاء والحنكة .

تراجع العميد (مجدى) مبهورًا ، وهو يقول :

- جرثومة ذكية ؟! أى قول أحقق هذا ؟!

لم يرفع الدكتور (عبد الحميد) عينيه عن جسد (أشرف)
المنتفض ، وشاشات الفحص والمتابعة ، وهو يستمع بانتباه
إلى الدكتورة (زينب) ، وهي تجيب في صرامة :

- عيبكم يا رجال الأمن هو أنكم تنشدون دوماً تفسيراً يناسب طبيعة عقولكم ومعارفكم ، وترفضون قبول أى أمر ، يتجاوز حدود المنطق العادى .

زمجر العميد (مجدى) ، قائلاً :

- أليس هذا ما يفترض أن يفعله أى إنسان عاقل !؟

أجابته بنفس الصرامة :

امنحنى تفسيراً آخر لما حدث إذن .. لقد حققت الدكتور (عبد الحميد) بالعقاقير ، ثم تركته وحده معزولاً ، دون أية وسيلة لانتقال الإصابة ، وهنا عمدت تلك الجرثومة المجهولة إلى العبث بمعدلاته الحيوية ، لإجبارنا على التحرك بالسرعة المناسبة ، التى تمنعنا من اتخاذ أية إجراءات وقائية ، وتدفعنا إلى المجازفة بدخول واحد منا ، يمكن أن تنتقل إليه ، بعد أن استنفدت كل ما يمكن استنفاده من البوتاسيوم ، وبعد أن منعتها العقاقير الطبية ، على نحو أو آخر ، من استحثات انقباضات العضلات وتحفيز مضخة الصوديوم والبوتاسيوم التبادلية .

حدق فى وجهها لحظة ، وقد أربكته تلك المصطلحات العلمية الطبية ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

- ربما كان نوعاً من الغريزة المتطورة ، تماماً مثل الثعبان ، الذى يتوارى فى جحره إذا ما لاح له الخطر .

قال الدكتور (عبد الحميد) :

- هذا أمر مختلف .

التفت إليه العميد (مجدى) فى حدة ، قائلاً :

- كنت أظننا نتحدث عن الأمور المختلفة .

أشار الدكتور (عبد الحميد) إلى (أشرف) الذى يواصل جسده انتفاضاته ، قائلاً فى حزم :

- أعتقد أن الأمر الوحيد ، الذى يستحق أن نتحدث عنه الآن ، هو هذا المسكين ، الذى سيفقد كل ما بجسده من بوتاسيوم ، لو لم نبادر بحقته بالكورتيزون ، والمواد المضادة للحساسية .

قالت الدكتورة (زينب) فى صرامة :

- لن أحقته بالكورتيزون .

التفت إليها الدكتور (عبد الحميد) ، قائلاً :

- ولم لا !؟

أجابته في حزم :

- وفقاً لنظريتي .. مضادات الحساسية وحدها هي التي أوقفت عملية استنفاد البوتاسيوم .

عقد ساعديه أمام صدره ، وسألها :

- ولم لا يكون الكورتيزون هو ما فعل هذا ؟!

عقدت ساعديها أمام صدرها بدورها ، وقالت :

- التجربة ستثبت أننا على حق .

قال في حدة :

- هذا دأبك دائماً .. العناد دون سند علمي .

هتفت محتدة :

- هل نسيت أنني أتمتع بغزيرة الأنثى ، التي تجهلونها أنتم أيها الرجال ؟!

أطلق ضحكة عصبية ساخرة ، قائلاً :

- غريزة الأنثى؟! يا للسخافة! خدعة أخرى غير علمية ، يروق لكن تصديقها ، دون أية دلائل أيتها النساء .

صاحت به :

- الآن أعلم لماذا فشل زواجنا .

صاح بها :

أما زلت تصرين على أنني المسئول ؟!

هتف بهما العميد (مجدى) في حدة :

- أعتذر عن مقاطعة هذا الحوار اللطيف ، ولكن ترى أليكما وقت لمتابعة الحالة التي أمامكما أم لا ؟!

أصابتهما عبارته في مقتل ، فبتر كل منهما حديثه دفعة واحدة ، وتطلعا إلى بعضهما بشيء من الحرج والخجل ، قبل أن يلتفتا معاً إلى الواجهة الشفافة للخيمة الواقية ويقول (عبد الحميد) في حزم :

- ألم يحن الوقت بعد لحقته بأى عقار كان ؟!

أجابته الدكتورة (زينب) ، فى شيء من التوتر :

- إننى أنتظر وصول القرد .

استدار إليها بكل دهشته هاتفاً :

- القرد؟! أى قرد ؟!

أجابته في سرعة متوترة :

- أريد معرفة ما إذا كانت الإصابة تنتقل عبر البشر وحدهم ، أم أنه من الممكن أن تنتقل عبر أى كائن حي .

سألها في اعتراض عصبى :

- هل ستضعين القرد مع (أشرف) !؟

أجابته بصلافة وصرامة :

- بالضبط .

صاح في حدة :

- هذه أكبر حماقة يمكن أن ...

بتر عبارته بغتة ، عندما هتفت ، وهى تشير إلى رسام المخ الكهربى :

- يا إلهى ! انظر .

أدار عينيه في حركة حادة سريعة إلى حيث تشير ، ثم اتسعت عيناه في دهشة مذعورة ..

فإشارات المخ كانت توحى بأن عقل (أشرف) يشهد نشاطاً غير عادى ..

نشاط أشبه بنشاط مخ يعمل فيعضلة رياضية شديدة التعقيد ، على نحو لا يمكن أن يتناسب مع شخص فاقد الوعى ..

وبكل دهشته ، غمغم الدكتور (عبد الحميد) :

- ترى ما الذى يعنيه هذا بالضبط !؟

صممت الدكتورة (زينب) بضغ لحظات ، وهى تحدق فى رسام المخ الكهربى ، قبل أن تقول بلهجة عجيبة :

- يعنى أنها تتصل به عقلياً ، على نحو أو آخر .

هتف الدكتور (عبد الحميد) ، والعميد (مجدى) بها ، فى آن واحد :

- ما هى !؟

التفتت إليهما ، مجيبة بحزمها المعهود :

- الجرثومة .

وكان جواباً مدهشاً ..

إلى أقصى حد ..

« أين هو بالضبط؟! » .

هذا السؤال هو أول ما طرح نفسه على ذهن (أشرف) ،
وعقله يبدأ فى الشعور بما حوله ..

فعلى الرغم من أنه لم يفتح عينيه بعد ، إلا أنه يشعر
جيدًا بتلك الحركة من حوله ..

إنه داخل غوآصة ..

نعم .. غوآصة تسبح فى أعماق البحر ، وتتحرك فى
نعومة مدهشة ..

ولكن ما الذى أتى به إلى مكان كهذا؟!؟

آخر ما يذكره هو أنه كان يحقن الدكتور (عبد الحميد)
بالأدرينالين ، عندما سمع صوت الرصاصة ، وشعر بشيء
حاد ضئيل يرتطم بعنقه ..

ثم لم يشعر بعدها بأى شيء ..

وهذا يعنى أن تلك الجرثومة الغامضة قد أصابته ..

فما الذى فعلوه به بعد هذا؟!؟

هل يستخدمون معه وسيلة علاج مختلفة جديدة؟!؟

روايات مصرية للجيب .. (كوكتيل ٢٠٠٠)

أم أنه ...

قبل أن تكتمل أفكاره ، سمع صوتًا عميقًا هادئًا ، يقول :

- أنت ما زلت ترقد على فراشك فى المستشفى ، فاقد
الوعى .

من المؤكد أنه قد سمع العبارة ..

ولكنه لم يسمعها حتمًا بأذنيه ..

لقد سمعها بعقله ..

بعقله وحده ..



شيء ما تسلل إلى أعماق تلافيف مخه ، وانغرس فى
مراكز سمعه مباشرة ، ونقل إليه العبارة ..

أو الإحساسس بها على الأرجح ..

و ...

ولكن مهلاً ..

هذا مستحيل تماماً ، من الناحية العلمية !

كيف يكون فاقداً للوعي ، ويمكنه أن يستوعب الأمر

ويشعر به ، على هذا النحو شديد الوضوح !؟

أهو مجرد حلم !؟

ولكن فاقد الوعي لا يحلم مثل النائم (*) ..

« إنه ليس حلمًا .. »

مرة أخرى يتردد ذلك الصوت الهادئ العميق في عقله

مباشرة ..

« أين أنا إذن !؟ »

هو الذى ألقى السؤال عبر عقله هذه المرة ، ودون أن

يفتح شفتيه ، على نحو لم يعهده ، أو يختبره فى نفسه

من قبل قط ..

وهذا أدهشه بشدة ..

(*) حقيقة علمية ..

وأثار حيرته إلى أقص حد ..

«جسدك مازال يرقد على فراش المرض ، يواصل انقباضات عضلاته ، حتى يمدنا بالبوتاسيوم اللازم .. أما عقلك ، فهو معنا هنا ..»

تردد الصوت الهادئ العميق مرة أخرى ، فى أعماق أعماق مخه ، فتساءل ، دون أن يفتح شفتيه أيضاً :

- معكم !؟ من أنتم !؟ وكيف تتصلون بعقلى هكذا !؟

أتاه الجواب مقتضباً ، أكثر هدوءاً وعمقا :

- نحن من تطلقون علينا ذلك الاسم .

تساءل بعقله :

- أى اسم !؟

وجاء الجواب أكثر عمقا بكثير :

- الجرثومة .

وانتقلت الانتفاضة إلى عقله ..

بمنتهى العنف .

* * *

هتف فى حدة :

- اتصال عقلى ؟! من أين تأتى عالمة مثلك بهذه الخزعبلات ؟!

غمغم العميد (مجدى) :

- هذا ما أتساءل عنه .

استدارت الدكتورة (زينب) ، تنقل بصرها بينهما فى حنق ، قبل أن تعتدل ، مشيرة إلى الممرضة ، وقائلة فى صرامة :

- استعدوا لإدخال الشمباتزى ، وحقق الدكتور (أشرف) بمضادات الحساسية .

ثم عادت تستدير إليهما ، قائلة فى حدة :

- عندما يتطور عقل العالم ، وتزداد خبراته ، يصبح أكثر قدرة على تصور ما يتجاوز حدود إدراك الشخص العادى .

قال الدكتور (عبد الحميد) فى صرامة :

- هذا ليس منطقاً علمياً .

ثم أضاف بشيء من السخرية :

٤- الاتصال ..

انهمكت الدكتورة (زينب) تماماً ، فى فحص قرد الشمباتزى الصغير^(*) ، وإعداده للتجربة ، فى حين راح الدكتور (عبد الحميد) يتطلع إلى مؤثرات رسام المخ الكهربى ، وهو يقول فى قلق :

- مازال النشاط المخى مستمراً .

غمغمت فى شرود :

- عظيم .

التفت إليها ، هاتفاً فى استنكار :

- عظيم ؟!

أجابته فى ثقة أحنقته :

- بالطبع .. هذا يعنى أن الاتصال العقلى مستمر .

(*) الشمباتزى : من القردة العليا ، الشبيهة بالإنسان ، موطنه وسط وغرب

(إفريقيا) ، وهو كالغوريلا أكثر شبيهاً بالإنسان ، من القردة العليا الأخرى ،

وأكثرها ذكاءً ، وقابلية للتعلم .

- ولا يتناسب حتى مع غريزة الأنثى .

احتقن وجهها في غضب ، وهي تهتف :

- يالك من حاقد !

صاح مستنكرًا :

- حاقد !؟ أنا !؟

زفر العميد (مجدى) ، قائلاً فى حدة :

- هل ستعودان الشجار !؟

انعقد حاجباها ، وزمّت شفّتيها فى شدة ، فى حين زفر
الدكتور (عبد الحميد) بدوره ، قائلاً :

- كلاً .

ثم أشاح بوجهه ، نحو الجانب الشفاف من الخيمة ،
مستطردًا ، وكأنه يصرف ذهنه عن الأمر :

- الشمباتزى بالداخل ، وهاهى ذى الممرضة تحقن
(أشرف) بمضادات الحساسية .

التقطت الدكتور (زينب) نفسًا عميقًا ، لتسيطر على
أعصابها المتوترة ، قبل أن تقول فى حزم :

- فلنتابع إذن ما سيحدث .

قالتها ، وهى تدير عينيها إلى رسام المخ الكهربى ،
وتتساعل فى أعماقها ..

تُرى ما الذى يدور فى عقل (أشرف) الآن بالضبط !؟

وماذا يحدث هناك فى أغواره !؟

ماذا !؟

ماذا !؟

« مستحيل ! »

انطلق الهتاف من أعماق مخ (أشرف) ، قبل أن يكمل ،
دون أن يفتح شفّتيه :

- مستحيل أن أتحدّث إلى جرثومة ! الجراثيم كائنات
دقيقة ، بسيطة التركيب ، ليست بها أجهزة معقدة ، تتيح
لها التفكير والتحدّث .

أتاه الجواب فى تلافيف مخه ، بذلك الصوت الهادئ
العميق :

- أنتم تصوّرتم أننا مجرد جرثومة ، ولكن واقعنا ليس كذلك أبداً .

تساءل في حيرة ولهفة :

- ما أنتم إذن !؟

خيل إليه أن فترة طويلة من الصمت قد مضت ، قبل أن ينبعث ذلك الصوت العميق من أعماق مخه ، قائلاً في بظء :

- من الصعب أن تستوعب .

هتف من أعماقه :

- يمكنني أن أحاول .

قال الصوت العميق :

- لا توجد سوى وسيلة واحدة لهذا .

هتف بكل لهفة :

- وما هي !؟

عاد ذلك الصوت العميق يصمت طويلاً مرة أخرى ، قبل أن يجيب بلهجة حازمة :

- أن تصبح واحداً منا .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى شعر (أشرف) وكأنه قد سقط بغتة في بئر عميقة ..

عميقة بلا قرار ..

كان ينزلق داخلها ، في منحنيات حادة ، وبسرعة مذهشة ، وكأنه يهوى من ارتفاع ألف ألف متر ..

والعجيب أنه لم يشعر بالخوف ..

أى خوف ..

شيء ما في أعماقه ، أو مخه ، أو في كيانه كله ، جعله يدرك أن ما يحدث لن يسبب له الضرر ..

أدنى ضرر ..

ثم فجأة ، بدا وكأنه قد ارتطم بكيان رخو رطب ..

أو بخلايا مخ آخر ..

وبلا مقدمات ، انفتحت بصيرته على رؤيا واضحة جداً ..

وعجبية جداً ..

وبلامقدمات أيضا ، وجد نفسه واحداً من طاقم سفينة فضائية عجيبة .. كانوا أربعة ملاحين .. اثنان يجلسان في المقدمة ، أمام نافذة زجاجية كبيرة ، وهو يجلس مع آخر في المؤخرة ..

لم يكونوا بشراً ..

ولكن هيئتهم كانت قريبة للغاية من البشر ..

نفس التكوين التشريحي المتناسق ، باستثناء أصابع اليد الثلاثية ، والوجه ذى العينين الضخمتين الواسعتين ، والبشرة الصفراء الشاحبة ، والرأس الأصلع الحرشوفى ..

حتى هو ، كانت له الهيئة نفسها ..

وكان يشعر وكأنه منذ الأزل واحد منهم ..

لقد أوصلوا عقله بعقل أحدهم ..

غاصوا به في ذاكرتهم ؛ ليعرف قصتهم ..

كلها ..

سفينة الفضاء كانت تنطلق بين النجوم بسرعة خرافية ، ولكن الكواكب من حولها بدت ضخمة ..



اثنان يجلسان في المقدمة ، أمام نافذة زجاجية كبيرة ، وهو يجلس مع آخر في المؤخرة .. لم يكونوا بشراً ..

بل هائلة ..

وإلى أقصى حد ..

ولأنه يغوص في عقل أحدهم ، فقد فهم السر ..

إنهم كائنات صغيرة للغاية ، في حجم الفيروسات ، وسفينتهم الفضائية كلها لا يزيد حجمها عن حجم جرثومة صغيرة ..

ومن بعيد ، ظهر كوكب (الأرض) .

وبسرعة تقترب من سرعة الضوء ، انطلقت سفينة الفضاء الجرثومية نحوه ..

لم يكن بنية الملاحين قط الهبوط فوقه ، نظراً لجاذبيته الرهيبة ، بالنسبة لحجم سفينتهم ..

وخارج مدار جاذبية (الأرض) ، توقفت السفينة الفضائية الدقيقة ، وراحت ترصد الحياة على كوكب الأرض ، بوسائل تكنولوجية شديدة التقدّم ..

كانوا ، على ضآلة أحجامهم ، يمتلكون تكنولوجيا تفوق تكنولوجيا (الأرض) بعشرات المرات ..

وكانت لديهم بالفعل معلومات كثيرة فائقة عن (الأرض) ..

روايات مصرية للجيب :: (كوكتيل ٢٠٠٠) ١٧٩

لا ريب في أنهم يراقبونها منذ سنوات طوال ..

ربما أطول مما يمكننا أن نتصور ..

فبحجمهم هذا ، يستحيل أن ترصدهم أية وسيلة رصد ، مهما بلغت دقتها ..

كوكب الأرض نفسه ، وهم يقفون خارج مدار جاذبيته ، كان يملأ الفضاء كله أمام عيونهم ، كما لو أنه عالم كامل أزرق اللون بلا حدود .

واسترخى ذهن (أشرف) تمامًا ، وهو يتابع هذا ..

ثم فجأة ، عبر ذلك النيزك الصغير إلى جوار السفينة .. ومسّها فحسب ..

ومع حجمها الجرثومي ، اختل توازنها تمامًا ، واندفعت نحو (الأرض) ، وملاحوها يبذلون جهداً خرافياً للسيطرة عليها ، واستعادة توازنها ..

ولكن السفينة سقطت في مجال جاذبية الأرض ..

وراحت تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

بمنتهى العنف ..

« إشارات المخ تشير إلى تضاعف مفاجئ للنشاط .. »

نطق الدكتور (عبد الحميد) العبارة فى قلق شديد ،
فهزّت الدكتورة (زينب) رأسها ، مغممة فى حيرة متوترة :

- عجباً ! كما لو أنه يمرّ بكابوس عنيف .

هزّ الدكتور (عبد الحميد) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- مستحيل ! فاقنوا الوعى لا يحلمون ، أو يرون الكوابيس .

تساءل العميد (مجدى) فى توتر :

- ما الذى يعنيه هذا إذن !؟

مطّت الدكتورة (زينب) شفّتها ، وهزّت رأسها ،
قائلة :

- لسنا ندرى .. هذا يتعارض مع أى منطق طبى ..

وتردّدت لحظة ، قبل أن تضيف :

- إلا إذا ..

قاطعها العميد (مجدى) فى توتر :

- أرجوك .. لا حديث مرة أخرى عن ذلك الاتصال العقلى
الفائق .

مطّت شفّتها مرة أخرى ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ،
قائلة :

- أنتما وشأنكما .

ثم أشارت إلى (أشرف) ، عبر الجانب الشفاف من
الخيمة الواقية ، مضيفة فى حدة :

- فسرا لى إذن ، كيف يسترخى جسده تدريجياً ، فى
نفس الوقت الذى يشتعل فيه عقله هكذا !؟

تبادل الرجلان نظرة صامتة حائرة ، قبل أن يجيب الدكتور
(عبد الحميد) فى عناد :

- هناك حتماً تفسير علمى .

ثم أشاح بوجهه فى سرعة ، قبل أن تلقى سؤالاً آخر ،
وإن عاد عقله يتساءل فى حيرة شديدة ..

ترى ما الذى تسبّب فى هذا النشاط الفائق لعقل (أشرف)
الفاقد الوعى !؟

وكيف يمكن أن يحدث هذا ، في مثل هذه الظروف!؟

كيف!؟

كيف!؟

سفينة الفضاء الجرثومية أصبحت سجيناً في مجال جاذبية الأرض ..

لا يمكنها أن تتحرر منه ، إلا بطاقة هائلة ..

طاقة لا تتوافر في محركاتها الاعتيادية ...

ولكن هناك محرك خاص للطوارئ ..

محرك يمكنه دفعها ، ضد قوة الجاذبية الأرضية ، حتى تعود إلى الفضاء الخارجي ..

ولكن هذا المحرك يحتاج إلى طاقة خاصة جداً ..

طاقة قوامها الرئيسي مادة البوتاسيوم ، في صورته الحيوية ..

ووفقاً لما لديهم من معلومات ، لا يمكن أن يتوافر البوتاسيوم في صورته الحيوية المطلوبة ، إلا في الأجساد البشرية ..

والأجساد البشرية وحدها ..

وهنا كان على الطاقم أن يدرس الأمر جيداً ..

وأن يتخذ القرار ..

وبأقصى سرعة ..

العوامل المناخية لكوكب (الأرض) كانت تؤذي أجهزة السفينة بشدة ..

والانتظار يعنى الدمار ..

الدمار الشامل .

ومن موقعه ، داخل مخ الملاح الطبي ، اقترح (أشرف) الفكرة كلها ..

الغوص في أعماق الأجساد البشرية ، وحث عضلاتها على العمل والانقباض بكل طاقتها ، لتشغيل مضخة الصوديوم والبوتاسيوم التبادلية ، والحصول على الطاقة المطلوبة .. وقد كان ..

وبسرعتها المدهشة ، اخترقت السفينة الفضائية الجرثومية سماء كوكب (الأرض) ، واتجهت نحو أول بشرى رصدته ..

وطوال الوقت ، كانت أجهزتها تستهلك مادة الهستامين البشرية^(*) ، كوقود مؤقت ، لتشغيل أجهزتها ، وتطلق العادم على شكل أوزون^(**) ..

وقبل أن تحصل على كفايتها ، بدأ البشر في استخدام مضادات الحساسية ، التي تمنع إطلاق الهستامين ..

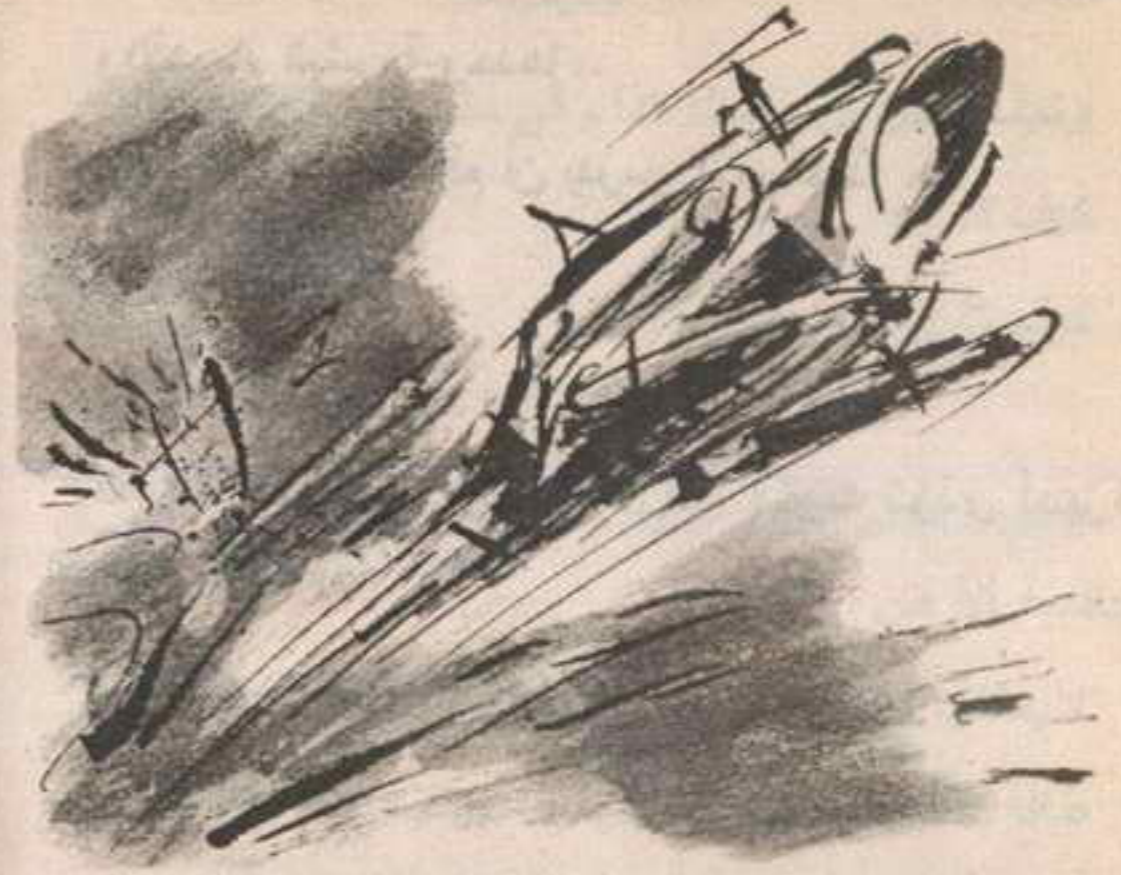
لذا ، كان من المحتم أن تنتقل سفينة الفضاء الجرثومية إلى شخص آخر .. شخص تجد لديه ما ينقصها من الوقود ..

من البوتاسيوم ..

« إذن فهذا ما كان يحدث !؟ »

(*) الهستامين : مادة تُستق من الحمض الأمينى (هستدين) ، توجد في معظم الخلايا النباتية والحيوانية ، وتساعد في زيادة مرور الدم ، عند عمل العضلات ، وتنبيه إفراز العصير المعدى ، وخاصة حمض (الهيدروليك) ، ويطلق الهستامين من الأنسجة إلى الدم بكثرة ، نتيجة الحروق ، أو الحوادث التي تمزق الأنسجة ، أو الجراحة الشديدة ، أو بعض حالات الحساسية ، وعندئذ تحدث صدمة شديدة ، وهبوط في ضغط الدم .

(***) غاز لونه ضارب إلى الزرقة ، غير ثابت ، له رائحة نفاذة ، وهو صورة جزيئية للأكسجين ، يتركب جزيؤه من ثلاث ذرات منه ، وهو أشد نشاطاً من الأكسجين ، وأثقل منه بمرّة ونصف ، يتكوّن عند مرور تفريغ كهربى خلال الأكسجين ، لذا فهو يتواجد في الهواء ، بعد العواصف الكهربائية .



اختراقها الجو بهذه السرعة ، جعل صوت انطلاقها أشبه بالرصاصة ..

ثم اخترقت الوريد العنقى للعامل ..

وبوسائلها التكنولوجية المتقدّمة ، راحت تقوم بكل المطلوب ، وهى تسبح وسط دماء الرجل ، مع اتخاذ كل ما يلزم ، لمنع التفاعل البيروجينى ، الذى يمكن أن يقضى عليه ..

هتف (أشرف) بالعبارة ، من أعمق أعماق عقله ، ولم يكذب يفعل ، حتى انسحب بغتة من عقل الملاح الطبي ، وعاد إلى جسده ، وإلى الظلام المحيط به ، مع شعور عجيب بأنه قد سقط فجأة من حالق ، فوق وسادة لينة مريحة ..

ولو هلة ، خيّل إليه أنه لن يحصل على الجواب أبدًا ، إلا أن ذلك الصوت الهادئ العميق لم يلبث أن عاد إلى عقله ، وهو يجيب :

- كنا مضطرين لهذا .. ولقد بذلنا كل جهد ممكن ، حتى لا يصاب أحد بالأذى .. وكنا واثقين أنكم تستطيعون تعويض ما نحصل عليه من البوتاسيوم ، من أجساد البشر ..

تساءل (أشرف) :

- أما زلتم بحاجة إلى المزيد !؟

أجابه الصوت العميق :

- قدرتنا على الاتصال بك تعنى أنه لم يعد ينقصنا سوى القليل .. والقليل جدًا .

سأله في لهفة ، من أعماق مخه :

- هل اتصلتم بالضحيّتين السابقتين !؟

أجابه ذلك الصوت الهادئ العميق ، وهو يخفت على نحو ملحوظ :

- عقلاهما لم يكونا بالكفاءة المطلوبة ، وقدرتنا على الاتصال العقلي لم تكن قد اكتملت بعد .

غمغم في ارتياح :

- عظيم .. كم يسعدنى أن أخبرتمونى بالأمر ، فمهما فعلنا ، لم يكن من الممكن أبدًا أن ندرك حقيقة الأمر .

وخيّل إليه أنه قد ابتسم في أعماقه ، وهو يتابع :

- ولكن اطمئنوا .. يمكنكم الحصول على كل ما تحتاجون إليه من البوتاسيوم ، من جسدى وحده .

بدا الصوت خافتًا وبعيدًا للغاية ، وهو يقول :

- نشكرك كثيرًا ، ولكن هذا لم يعد مجددًا .. لقد توقّف إنتاج الهستامين فى جسدك ، وربما يكفيننا ما حصلنا عليه بالفعل .

هتف (أشرف) :

- لا .. انتظر .. هناك ما أرغب فى

قبل أن يتمّ عبارته، التي انطلقت من خلايا مخه الرمادية،
خيل إليه أنه عاد يسقط في عنف، فهتف:

- لا.. ليس الآن ..

تباعد الصوت في سرعة، وهو يقول:

- تذكر .. لا ترو لأحد ماسمعه وشاهدته .. فوفقاً
لدراستنا، لن يصدق مخلوق واحد روايتك .. سيبدو لهم
الأمر أشبه بهذيان شخص فاقد الوعي، أو مجرد حلم ..

مجرد حلم ..

حلم ..

حلم ..

ثم انتهى كل شيء ..

فجأة ..

بدت لهجة الدكتورة (زينب) مفعمة بالانفعال، وهي
تشير إلى رسام المخ الكهربى، هاتفة:

- انظرا لقد توقّف نشاط المخ الزائد فجأة!

هتف الدكتور (عبد الحميد):

- هذا صحيح .. جسده أيضاً استرخى تماماً ..

استدارت بسرعة إلى الخيمة الواقية، وهى تقول فى
انفعال:

الشمباتزى .. تابعا ما سيحدث للشمباتزى ..

مع آخر حروف كلماتها، سمع الجميع بغتة ذلك الصوت
الحاد، الشبيه بصوت رصاصة تخترق الهواء ..

ثم فجأة، ارتجف الجانب الشفاف من الخيمة فى
عنف ..

وسمعت الدكتورة (زينب) تلك الرصاصة، تعبر على
مسافة سنتيمتر واحد من أذنها اليسرى، فأطلقت صرخة
مذعورة، وهى تلقى نفسها جانباً ..

وفى عنف، تحطّم زجاج النافذة، وتناثر إلى الخارج،
فاستل العميد (مجدى) مسدسه، وأداره نحو النافذة فى
سرعة ..

ولكن شيئاً آخر لم يحدث ..

فقط أصيب الشمباتزى المسكين بحالة من الذعر ، فراح
يصرخ ويتقاذز هنا وهناك ، قبل أن يتعلق بعنق الدكتورة
(زينب) ، ويتشبث بها ، وكأنما ينشد لديها الحماية ،
كطفل صغير مذعور ..

وفى حنان عجيب ، راحت هى تربت عليه ، مغممة :

- اهدأ يا صغيرى .. اهدأ .. لقد انتهى كل شىء .

سألها العميد (مجدى) فى عصبية ، وهو ما زال يمسك
مسدسه :

- أتعقدين هذا حقاً ؟!

تطلعت إلى الشمس ، التى تشرق من بعيد ، عبر النافذة
المكسورة ، وإلى الدكتور (أشرف) ، الذى هدأ جسده
واستقر ، ثم ضمت الشمباتزى المذعور إلى صدرها فى
دفاع وحنان ، وهى تجيب فى حزم :

- نعم .. أعتقد هذا .

تطلع إليها الرجلان لحظة فى صمت ، ثم لم يلبث العميد
(مجدى) أن أعاد مسدسه إلى غمده ، فى حين ابتسم
الدكتور (عبد الحميد) ، وأشار إلى الشمباتزى ، قائلاً :

- الآن أدركت ما الذى كان ينقص زواجنا ليستم .

ثم مال نحوها ، وهمس فى حب :

- طفل .

وتضرج وجهها بحمرة الخجل ..

بشدة .

رفعت الدكتورة (زينب) عينيها إليه دفعة واحدة ، وهي تسأله في شغف :

- ماذا أخبرتك به ؟!

سألها (أشرف) في حذر قلق :

- ماذا تعنين ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة في انفعال :

- تلك الجرثومة .. ما الذي أخبرتك به ، عندما اتصلت بعقلك ؟!

حدّق في وجهها بدهشة عارمة ، وبداله من المذهل أن تستنتج أمراً كهذا ، في حين ضحك الدكتور (عبد الحميد) ، قائلاً :

- لا تجعلها تفرعك يا (أشرف) .. إنها تميل هذه الأيام إلى قصص الخيال العلمي ، وليس إلى العلم وحده .

قالت في إصرار :

- أراهن على أنها لم تكن مجرد جرثومة .

حاول (أشرف) أن يبتسم ، وهو يسألها :

٥- الختام ..

ابتسم الدكتور (أشرف) في إرهاق ، وهو يرقد على فراشه في المستشفى ، وأشار بيده في ضعف ، قائلاً :

- يرددون في المستشفى أنكما ستتزوجان مرة أخرى ..
أهذا صحيح ؟!

تضرّج وجه الدكتورة (زينب) بحمرة الخجل ، وضغط الدكتور (عبد الحميد) كفها في حنان وحب ، وهي تقول :

- نعم .. لقد قرّرنا إعادة التجربة ، على ضوء المعطيات الجديدة .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- ألف مبروك .

خفضت الدكتورة (زينب) عينيها في خجل ، في حين سأله الدكتور (عبد الحميد) في اهتمام :

- ولكن ماذا عنك ؟! هل تشعر بأنك تتعافى ؟!

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

- وماذا يمكن أن تكون إذن؟!!

لوحث بيدها مرة أخرى ، وهي تجيب في ثقة عجيبة :

- شيء من كوكب آخر .

كاد يقفز من مكانه ، وهو يهتف ذاهلاً :

- من ماذا؟!!

ضحك الدكتور (عبد الحميد) بملء فيه ، في حين

أجابت في حماسة :

- شيء من عالم آخر .. من أعماق الفضاء .. شيء

عاقل ، أو يحوى كائنات عاقلة .

هتف الدكتور (عبد الحميد) :

- ياله من خيال جامح !

غمغم (أشرف) في انبهار :

- أو هي عبقرية مفرطة .

تألقت عيناها لعبارته ، ومالت نحوه ، متسائلة بكل لهفة

الدنيا :

- هل أصاب استنتاجي؟!!

تطلّع إلى عينيها مباشرة لبضع لحظات ، قبل أن يقول
في بطء :

- ومن يمكن أن يصدّق قصة كهذه؟!!

تراجعت في مقعدها ببطء ، قائلة بلهجة حملت نبرة
ظافرة :

- لا أحد .

ثم غمزت بعينها ، مستطردة :

- إلا العباقرة فحسب .

ابتسم ، قائلاً :

- بالتأكيد .

نقل الدكتور (عبد الحميد) بصره بينهما لحظة في
دهشة مستنكرة ، قبل أن ينهض ، قائلاً في حزم :

- أعتقد أنك أفضل حالاً الآن ، وهذا يعني أن نتركك ،
ونذهب للاهتمام بشئوننا ، خاصة وأننا نستعد لبدء عالمنا
من جديد .

غمغم مبتسماً :

- وفقكما الله (سبحانه وتعالى) ، ورعاكما .

ابتسمت الدكتورة (زينب) ، وهى تقول :

- الله (سبحانه وتعالى) يرعى كل خلقه .

ثم غمزت بعينها ، مضيئة :

- حتى ولو كانوا فى حجم الجرثومة .

اتسعت ابتسامته (أشرف) أكثر ، وهو يتابع انصرافهما ،

ثم استرخى فى فراشه ، وعقله يستعيد تفاصيل اندماجه

بعقول صغيرة قوية ..

عقول تثبت أن الله (عزَّ وجلَّ) يضع سره أحياناً فى

أضعف خلقه ..

وأصغرهم ..

حتى ولو كانوا فى حجم صغير للغاية ..

حجم جرثومة .

[تمت بحمد الله]

باقة من القصص
والروايات المصرية
تمة في التشويق والإثارة

١٥١...٣

روايات مصرية للحيث مكتبة ٢٠٠٠

في هذا الكتاب

صفحة

٥ أم علي (قصة قصيرة)

١٦ الحاج شيحة (قصة قصيرة)

المغرب :

٢٥ مهمة رسمية (الحلقة الثانية)

٧٤ القنبلة (قصة قصيرة)

مذكرات طبيب - في صعيد مصر الجواني

٨٣ (الحلقة السادسة)

١٠٠ بالمصادفة .. (قصة قصيرة)

قصة العدد :

(الجرثومة)

١٠٩

..... عزيزي القارئ (١)

..... عزيزي القارئ (٢)

ح

الضمن في مصر ٣٠٠
ومابعدله بالدولار الأمريكى
في سائر الدول العربية والعالم

مطابع
صلاح الدين

